كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الحراسة عند المسلمين
في
العهد النبوي

إعداد

د/محمود علي عبدالله علي

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر – أسيوط

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الأول - الجزء الأول)

(١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)

الحراسة عند المسلمين في العهد النبوي

د / محمود علي عبدالله علي
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية – قسم التاريخ والحضارة – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر بأسيوط – مصر
البريد الإلكتروني : mahmoudali.47@azhar.edu.eg

الملخص :

يتناول هذا البحث " الحراسة عند المسلمين في العهد النبوي " ، حيث تناولت في التمهيد مفهوم الحراسة وفضلها ، ثم تحدثت عن الحراسة الإلهية للنبي ﷺ ، والتي تجلت في إخبار الله لنبيه بما دبره له أعداؤه ، ومنعهم من قتله أو التعرض له ، ثم حراسة الصحابة للنبي في مكة وأثناء الهجرة، وفي غزواته وغيرها ، وكذلك حراسة المدينة في غزوة أحد والخندق و ذي قرد (الغابة) ، ولم تغفل الدراسة الحديث عن حراسة المعسكر الإسلامي في أحد والحديبية وخيبر وذات الرقاع وفتح مكة وحنين وتبوك وغيرها ، وكذلك صلاة الخوف ، والأسباب التي دعت إلى الحراسة والتي كان منها : كثرة الإيذاء للنبي من قبل أعدائه ، والحفاظ على حياة القائد ، وتوفر دوافع القتل والانتقام ، وإظهار القوة والعظمة تجاه المشركين ، والخوف على الذراري والأطفال ، وحماية جيش المسلمين من أي اعتداء ، وتأمين الحرس ، كما تناولت أعداد الحراس ، والحراسة بين التطوع والتكليف ، وصفات الحراس التي أهلتهم للقيام بهذه المهمة ، مثل : اللياقة البدنية وصحة الجسد ، والعقل والقدرة على القيام بالمهام ، والخبرة والقدرة على القتال وحمل السلاح ، والفروسية والمشاركة في بعض المهام الخاصة ، والاستعداد التام واليقظة ، وأخيرًا النتائج التي ترتبت على وجود الحراس ، وأهمها : إثبات صدق نبوته ﷺ ، وإثبات صدق محبة الصحابة للنبي ، وإحباط محاولات التسلل إلى المعسكر الإسلامي ، والقضاء على

حركات الغدر والخيانة لدى اليهود ، والحصول على المعلومات المخابراتية اللازمة ، وإعلاء مكانة النبي في نفوس أعدائه .

الكلمات المفتاحية : الحراسة – الحرس – المعسكر الإسلامي – صلاة الخوف.

The guardianship that Muslims had in the Prophet’s era

Mahmoud Ali Abdullah Ali
Department of History and Civilization - Faculty of Arabic Language - Al-Azhar University- Asyut - Egypt
Email : mahmoudali.47@azhar.edu.eg

Abstract

This research deals with "The guardianship that Muslims had in the Prophet’s Era", where in the preface, the researcher has dealt with the concept of guardianship and its merits, then he has discussed the divine guarding of the Prophet, which was clearly manifested in the telling of Allah to His prophet of what his enemies had contrived for him, and prevented him from being killed or to intercept him, thereafter guarding the companions of the Prophet In Makkah and during the migration as well as in his conquests and others, in addition to guarding the city (Medina) in the battles of Uhud, Al-Khandaq and Di- Qird . The study hasn’t overlooked the discussion regarding guarding the Islamic camp in the Conquests of Uhud, al-Hudaybiyah, Khaybar, Dat el-Reka'a, the conquest of Makkah, Hunin, Tabuk, and others, as well as the prayer of fear, with the reasons that stimulated guarding which included: Much harm to the Prophet by his enemies, protection of the leader's life, the existence of the motives for killing and revenge, show strength and greatness towards polytheists, and fear for the offspring and the children, Protecting the Muslim army from any attack, and securing the guards, subsequently it has addressed the numbers of guards, also guarding between volunteering and assignment, the guards' qualities that enabled them to carry out this task, such as: Fitness and body health, mind and ability to conduct tasks, experience and

ability to fight and take up arms, Equestrianism and taking part in some special tasks, complete readiness and watchfulness, And ultimately the results that emerged from the presence of the guards, the most important of which are: proving the sincerity of his prophet hood peace be upon him, proving the sincerity of the companions' love for the Prophet peace be upon him, thwarting attempts to infiltrate the Islamic camp, eliminating treacherous movements, and treason among the Jews, obtaining the necessary intelligence information, and raising the status of the Prophet in the hearts of his enemies, then the conclusion that included the most important results that could be reached through this research.

Key words : Guardianship - Guards - Islamic camp - Prayer of Fear.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ..

وبعد ،،،

فالحراسة – كما هو معروف – لا يمكن الاستغناء عنها في أي زمان أو مكان؛ لما لها من أهمية كبيرة في حماية الأفراد والممتلكات، والدولة الإسلامية الناشئة لا يمكن أن تغفل بأي حال أمر الحراسة، خاصة وسط تلك الأمواج التي كانت تفيض بالكراهية والعداء لنبي الإسلام، ولكل من اتبع هذا الدين .

وقد فطن الصحابة – رضوان الله عليهم جميعًا – إلى هذا الأمر، ورغم علمهم بأن المولى – سبحانه وتعالى – قد تكفل بحفظ نبيه، وإتمام دينه، إلا أنهم قاموا بواجبهم تجاه صاحب الدعوة، فقاموا بحراسته في العديد من المواقف التي شعروا من خلالها بالخطر على حياته .

هذا، ولم يغفل النبي ﷺ حراسة المدينة – عاصمة الدولة الإسلامية – عند اشتداد الأزمات، أو رغبة الأعداء في الهجوم عليها، كما لم يغفل حراسة المعسكر الإسلامي وقت خروج الغزوات، محققًا بذلك الأمان الكامل لجيشه، وضاربًا مثالاً رائعًا للعقلية العسكرية الفذة .

ولم يكن اختيار النبي ﷺ لهؤلاء الذين قاموا بمهام الحراسة أو إجازته لمن تطوع منهم عشوائيًا، وإنما حرص ﷺ على توفر تلك الصفات التي تساعد كلاً منهم على القيام بمهامه خير قيام، والتي منها : اللياقة البدنية وصحة الجسد، والعقل والقدرة على القيام بالمهام، والخبرة والقدرة على القتال وحمل السلاح، والاستعداد التام واليقظة الكاملة.

ولهذا وقع اختياري على موضوع « الحراسة عند المسلمين في العهد النبوي » ، خاصة وأن أقلام الباحثين لم تتناول بشكل كافٍ هذه الجزئية رغم أهميتها، وما كان لها من نتائج في العهد النبوي آنذاك .

هذا، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في : مقدمة، وتمهيد، وتسعة مباحث، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي :

المقدمة : تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، والهدف منه، وخطة البحث .

التمهيد : تناولت فيه مفهوم الحراسة، وفضلها .

المبحث الأول : **الحراسة الإلهية للنبي ﷺ** : وقد تجلى ذلك في إخباره – سبحانه وتعالى – لنبيه بما دبره أعداؤه، وكذلك منعهم من قتله أو التعرض له .

المبحث الثاني :**حراسة الصحابة للنبي ﷺ** : تحدثت فيه عن حراسته ﷺ في مكة، وأثناء الهجرة، وفي غزوة بدر، وأحد، والخندق، والحديبية، وعند زواجه من السيدة صفية بنت حيي، وفي تبوك، وغيرها .

المبحث الثالث : **حراسة المدينة** : حيث أمر الرسول ﷺ بحراستها في غزوة أحد، وغزوة الخندق، وغزوة ذي قرد (الغابة) .

المبحث الرابع : **حراسة المعسكر الإسلامي** : حيث تناولت الحديث فيه حول حراسة المعسكر الإسلامي في غزوة أحد، وذات الرقاع، والحديبية، وخيبر، وحنين، وتبوك، وغيرها.

المبحث الخامس : **صلاة الخوف** : وذلك باعتبار أن الغرض منها كان حراسة المسلمين من هجوم الكفار أثناء الصلاة .

المبحث السادس : **أسباب الحراسة** : حيث ذكرت أهم الأسباب التي دعت إلى الحراسة والتي منها : كثرة إيذاء النبي ﷺ من قِبَل أعدائه، والحفاظ على

حياة القائد، وتوفر دوافع القتل والانتقام، وإظهار القوة والعظمة تجاه المشركين، والخوف على الذراري والأطفال، وحماية جيش المسلمين من أي اعتداء، وأخيرًا تأمين الحرس .

المبحث السابع : **أعداد الحرس** : وقد وضحت فيه أعداد الحراس الذين قاموا بحراسة النبي ﷺ ، وكذلك حراس المدينة، والمعسكر الإسلامي .

المبحث الثامن : **صفات الحرس** : وفيه تحدثت عن تلك الصفات التي أهَّلت الحرس لتولي هذه المهام .

المبحث التاسع : **النتائج المترتبة على وجود الحراسة في العهد النبوي** : والتي كان منها : إثبات صدق نبوة النبي ﷺ عن طريق حراسة الله له، وإثبات صدق محبة الصحابة – رضي الله عنهم – له، والنجاح في إحباط محاولات التسلل إلى المعسكر الإسلامي، والقضاء على حركات الخيانة والغدر لدى اليهود، والحصول على المعلومات المخابراتية اللازمة، وإعلاء مكانة النبي ﷺ في نفوس أعدائه.

الخاتمة : وتحتوي على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

فهرس المصادر والمراجع : حيث ذيَّلت البحث بقائمة بأهم المصادر والمراجع التي استقيت منها المادة العلمية .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الباحث

تمهيد

- مفهوم الحراسة :

الحراسة من حَرَسَ الشَّيْءَ يَحْرُسُه ويَحْرِسُه حَرْسًا : حَفِظَهُ، وهم الحُرَّاسُ والحَرَسُ والأَحْراسُ، واحْتَرس مِنْهُ : تَحَرَّزَ، وتَحَرَّسْتُ مِنْ فُلَانٍ واحْتَرَسْتُ منه، أي: تَحَفَّظْتُ مِنْهُ، والحَرَسُ: حَرَسُ السُّلْطَانِ، وَهُمُ الحُرَّاسُ، والحَرَس، وَهُمْ خَدَمُ السُّلْطَانِ الْمُرَتَّبُونَ لِحِفْظِهِ وحِراسَتِه [١].

وفي القرآن الكريم جاء قوله تعالى : { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا }[٢]، فالحرس : اسم مفرد في معنى الحراس، كالخدم في معنى الخدام، ولذلك وصف بشديد، ولو ذهب إلى معناه لقيل شدادًا[٣]، والمقصود بالحراس في الآية : الملائكة الذين يحرسونها من استراق السمع[٤].

وفي الحديث النبوي، روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ[٥]، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ

---

(١) ابن منظور: لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرَين ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٨٣٣ ، مادة (حرس) .

(٢) سورة الجن : الآية (٨) .

(٣) الفخر الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، جـ٣ ، ص١٥٧ .

(٤) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، جـ٨ ، ص٣٨٠ .

(٥) الخميصة : ثوب معلم من خز أو صوف. ابن النحاس: مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق وقيد الغرام إلى دار السلام، تحقيق: إدريس محمد علي، محمد خالد اسطنبولي، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص٤١٢.

سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ[1]، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ[2]، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ »[3].

يقول ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) : « هَذَا مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي اتَّحَدَ فِيهَا الشَّرْطُ وَالْجَزَاءُ لَفْظًا لَكِنَّ الْمَعْنَى مُخْتَلِفٌ ، وَالتَّقْدِيرُ: إِنْ كَانَ الْمُهِمُّ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِيهَا، وَقِيلَ : مَعْنَى (فَهُوَ فِي الْحِرَاسَةِ) أَيْ : فَهُوَ فِي ثَوَابِ الْحِرَاسَةِ، وَقِيلَ: هُوَ لِلتَّعْظِيمِ، أَيْ: إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ فَهُوَ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ لَازِمُهُ أَيْ: فَعَلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِلَوَازِمِهِ، وَيَكُونَ مُشْتَغِلًا بِخُوَيْصَّةِ عمله »[4].

- **فضل الحراسة** :

وردت العديد من الأحاديث التي تبين أهمية الحراسة وفضلها، ومدى الثواب الكبير والفضل العظيم الذي ينال القائمين بها .

---

(١) انتكس : أي عاوده المرض كما بدأه ، وقيل النكس : أن يخر على رأسه . ابن بطال : شرح صحيح البخاري ، تحقيق : أبوتميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الرياض ، بدون تاريخ ، جـ٥ ، ص٨٣ .

(٢) شِيك : أي دخلت في جسمه شوكة، والانتقاش : نزعها بالنقاش، ومعناه : الدعاء عليه إذا أصيب أن لا ينجبر . ابن النحاس : مشارع الأشواق ، ص٤١٣.

(٣) البخاري : الجامع الصحيح ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م ، جـ٢ (كتاب الجهاد والسير ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله) ، ص٣٢٨ ، رقم (٢٨٨٧) .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد، ط. الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، جـ٦ ، ص٩٧.

فقد روى ابن عباس ﷺ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ قال: « عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »(١).

كما روى ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ، لَعَلَّهُ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ »(٢).

وعن عبد الله بن الزبير ﷺ قال : قال عثمان بن عفان ﷺ وهو يخطب على المنبر : إِنِّي أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ بِهِ إِلَّا الضِّنُّ بِكُمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « حَرَسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا، وَيُصَامُ نَهَارُهَا »(٣).

---

(١) الترمذي: السنن ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، (كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله) ، ص٣٨٥ ، رقم (١٦٣٩) .

(٢) الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، جـ٢ (كتاب الجهاد) ، ص١٠٠ ، رقم (٢٤٧٩) . المنذري : الترغيب والترهيب ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، مـج٢ (كتاب الجهاد ، باب الترغيب في الحراسة في سبيل الله) ، ص٥٢٥ ، رقم (١٢٣٢) .

(٣) أحمد بن حنبل : المسند، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، جـ١ ، ص٥٠٩، رقم (٤٦٣) . الحاكم النيسابوري : المستدرك ، جـ٢(كتاب الجهاد) ، ص١٠٠، رقم (٢٤٨١) .

كما روى أبو هريرة ﷺ أنه قال : « لحرس ليلة أحب إليَّ من صيام ألف يوم أصومها، وأقوم ليلها في المسجد الحرام، وعند قبر رسول الله ﷺ »[1].

يقول ابن النحاس (ت ٨١٤ هـ) عن فضل الحراسة : « واعلم أن الحراسة في سبيل الله من أعظم القربات، وأعلى الطاعات، وهي أفضل أنواع الرباط، وكل من حرس المسلمين في موضع يخشى عليهم فيه من العدو فهو مرابط ولا ينعكس، فللحارس في سبيل الله أجر المرابط، وفضائل أخر كثيرة، منها : أن النار لا تمس عينًا حرست في سبيل الله أبدًا »[2].

(١) ابن النحاس: مشارع الأشواق ، ص٤١٨ ، رقم (٧٢٤) .

(٢) مشارع الأشواق ، ص٤١٣.

المبحث الأول

الحراسة الإلهية للنبي ﷺ

تولى الله – سبحانه وتعالى – حفظ نبيه ﷺ بالحماية والحراسة؛ صيانة لدينه، وحماية لدعوته في مواجهة الكفار الذي سلكوا جميع السبل والوسائل لإعاقة هذه الدعوة، ومنعها من الانتشار، حتى لو أدى ذلك بهم إلى القضاء على صاحب هذه الدعوة .

وقد تجلت حماية الله – سبحانه – لنبيهﷺ، وحراسته له في أمرين هما :

(١) إخباره – سبحانه – لنبيه ﷺ بما دبر له أعداؤه :

أراد أعداء الدعوة الإسلامية التخلص من النبي ﷺ فعقدوا العزم على قتله خفية في مرات عديدة، فكان إخبار الله – سبحانه – له بما عزم هؤلاء على فعله، ومن ثمَّ أحبطت محاولاتهم المرة تلو الأخرى، دون أن يصلوا إليه .

يُذكر أنه لما رأي كفار قريش أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد تجهزوا وخرجوا وساقوا النساء والذراري إلى المدينة، وعرفوا أن الدار دار منعة، وأن القوم أهل قوة وبأس ، خافوا خروج الرسول ﷺ إليهم ولحوقه بهم فيشتد عليهم أمره[١]؛ فاجتمعوا في دار الندوة، ولم يتخلف أحد من أهل الرأي منهم، وتذاكروا أمر رسول الله ﷺ ، فأشار بعضهم بحبسه، وأشار بعضهم بنفيه، غير أن مثل هذه الآراء قوبلت بالرفض، فقال أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلامًا نهدًا، جلدًا،

---

(١) ابن قيم الجوزية : فقه السيرة النبوية " من زاد المعاد في هدي خير العباد " ، تحقيق : د/ السيد الجميلي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، ص٨٦ .

ثم نعطيه سيفًا صارمًا، فيضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يدري بنو عبد مناف بعد ذلك ما يصنعون، فتفرقوا على ذلك، وأجمعوا عليه[1].

وقد أخبر الله – تعالى – نبيه بهذه المؤامرة، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...}[2]، قال ﷺ : « تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ، فَأَثْبِتُوهُ بِالْوَثَاقِ، يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللهُ – عَزَّ وَجَلّ – نَبِيَّهُ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ، وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا، يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا، رَدَّ اللهُ مَكْرَهُمْ ... »[3] .

وبذلك يتضح أن إخبار الله – تعالى – لنبيه بما أجمع عليه كفار قريش في دار الندوة نجَّاه من هذه المؤامرة، ثم كانت الترتيبات البشرية التي قام بها النبي ﷺ من مغادرته لفراشه، ولحوقه بالغار، ولكي يُعمّي عليهم الأمر بات علي ابن أبي طالب ﷺ في فراشه؛ حتى لا يسارع المتآمرون إلى البحث عنه، ومن ثمَّ الوصول إليه .

---

(١) ابن جماعة : المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ ، تحقيق: د/ سامي مكي العاني ، دار البشير، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص٤٧ ، ٤٨ .

(٢) سورة الأنفال : من الآية (٣٠) .

(٣) المسند ، جـ٥ ، ص ٣٠١ ، رقم (٣٢٥١) . وانظر أيضًا الطحاوي : شرح مشكل الآثار، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، جـ١٥ (باب مشكل السبب الذي نزلت فيه : وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) ، ص٥ ، ٦، رقم (٥٨٠٦) .

وهناك محاولة أخرى قام بها يهود بني النضير كان الغرض منها قتل النبي ﷺ ، فأخبره المولى – سبحانه – بها، ونجّاه منها، إذ يُذكر أنه عندما ذهب النبي إلى بني النضير في رهط من المهاجرين والأنصار، وكلّمهم في أن يعينوه في دية الرجلين[1] اللذين قتلهما عمرو بن أمية[2]، قالوا : نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ إلى جانب جدار من بيوتهم قاعدًا، فقالوا : من رجل يعلو على هذا البيت، فيلقي عليه صخرة، فيقتله بها، فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن حجاش بن كعب، فصعد ليلقي عليه الصخرة – وهو في نفر من أصحابه – فأتاه الخبر من السماء بما همّوا به[3]،

(١) كان عمرو بن أمية الضمري قد لقي رجلين من بني عامر، فأمهلهما حتى إذا ناما عَدَا عليهما فقتلهما؛ ثأرًا لقتل أصحاب بئر معونة، وهو لا يعلم أنه كان معهما عهد من رسول الله ﷺ وجوار. ابن حبان : كتاب الثقات ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م ، جـ١، ص٢٤٠ ، ٢٤١.

(٢) عمرو بن أمية : هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس الضمري، يكنى أبا أمية، من مهاجري الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، بعثه النبي ﷺ وكيلاً ورسولاً إلى النجاشي، فعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان، توفي في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٦٠هـ . أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م ، جـ٤ ، ص١٩٩٣ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩م ، جـ٢ ، ص٥٥١ ، ٥٥٢ . البيهقي : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق : د/ عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م ، جـ٣ ، ص٣٥٤ ، ٣٥٥.

فنهض ﷺ ، وكأنه يريد حاجة[١]، ولم يُشعِر بذلك أحدًا ممن معه من أصحابه[٢].

وهناك رواية تذكر أن كنانة بن صُويراء قال ليهود بني النضير : هل تدرون لم قام محمد ؟ قالوا : لا والله، ما ندري وما تدري أنت، قال : بلى والتوراة إني لأدري، قد أُخبر محمد بما هممتم به من الغدر، فلا تخدعوا أنفسكم، والله إنه لرسول الله، وما قام إلا أنه أُخبر بما هممتم به، وإنه لآخر الأنبياء...[٣]

وفي هذا الصدد يُذكر أنه عندما أقبل الرسول ﷺ من تبوك إلى المدينة، وفي الطريق إلى هناك تآمر اثنا عشر رجلاً من المنافقين، وقيل : أربعة عشر، أو خمسة عشر على الغدر به، ومزاحمته على العقبة، ولكن الله عصم رسوله[٤] .

لقد همَّ هؤلاء المنافقون بالفتك برسول الله ﷺ ، وأن يطرحوه من رأس عقبة في الطريق، ولما أُخبر بخبرهم، أمر الناس بالمسير من الوادي، وصعد هو العقبة،

(١) ابن سعد : الطبقات الكبير، تحقيق : د/ علي محمد عمر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ /٢٠٠١م ، جـ٢ ، ص٥٣ . الواقدي : كتاب المغازي ، تحقيق : د/ مارسدن جونس ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، جـ١ ، ٣٦٥.

(٢) ابن حزم : جوامع السيرة النبوية ، تحقيق : عبدالكريم سامي الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م ، ص ١٠٩.

(٣) الواقدي: المغازي ، جـ١ ، ص٣٦٥.

(٤) أحمد بن حنبل : المسند ، جـ٣٩ ، ص٢١٠ ، ٢١١ ، رقم (٢٣٧٩٢) .

وسلكها معه أولئك النفر متلثمين، وأمر الرسول ﷺ عمار ابن ياسر[١] وحذيفة بن اليمان[٢] أن يمشيا معه : عمار آخذ بزمام الناقة، وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا القوم قد غشوهم، فغضب رسول الله ﷺ ، وأبصر حذيفة غضبه،

(١) عمار بن ياسر: هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة، يكنى أبا اليقظان، كان هو وأبوه وأمه من السابقين إلى الإسلام، حيث كان إسلامه بعد بضعة وثلاثين رجلاً، وهو ممن عُذّب في الله، هاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا وأحد والخندق وبيعة الرضوان مع رسول الله، كما شهد قتال مسيلمة ، وولاه عمر بن الخطاب الكوفة وعزله عنها ، ثم صحب عليًا وشهد معه الجمل وصفين التى قاتل فيها حتى قُتل ، وكان عمره يومئذٍ أربعًا وتسعين، وقيل : ثلاث وتسعون، وقيل إحدى وتسعون . انظر ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ٤ ، ص١٢٢ – ١٢٨ .

(٢) حذيفة بن اليمان : يكنى أبا عبدالله ، واسم اليمان حسيل بن جابر واليمان لقبه ، وهو من بني عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان، وأمه امرأة من الأنصار من الأوس من بني عبدالأشهل، شهد حذيفة وأبوه حسيل وأخوه صفوان أحدًا، وقتل أباه يومئذٍ بعض المسلمين وهو يحسبه من المشركين، كان حذيفة من كبار أصحاب رسول الله، وهو معروف بصاحب سر رسول الله، شهد نهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن أخذ الراية ، فكان فتح همذان والري والدينور على يده ، ومات سنة ٣٦ هـ . ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م ، مج١ ، ص٣٣٤ ، ٣٣٥ .

فرجع إليهم، ومعه محجن[1]، فلما رأوا حذيفة ظنوا أنه قد أظهر على ما أضمروه، فأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ [2] .

وعندما خرجوا من العقبة، قال النبي ﷺ لحذيفة : هل عرفت يا حذيفة من هؤلاء الرهط أو الركب، أو أحدًا منهم ؟ قال حذيفة : عرفت راحلة فلان وفلان، وقال: كانت ظلمة الليل، وغشيتهم وهم متلثمون، فقال ﷺ : هل علمتم ما كان شأن الركب وما أرادوا ؟ قالوا : لا والله يا رسول الله، قال: فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا أظلمت في العقبة طرحوني منها، قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فتضرب أعناقهم ؟ قال: أكره أن يتحدث الناس، ويقولوا إن محمدًا قد وضع يده في أصحابه، فسماهم لهما، وقال: اكتماهم[3].

إن ما ردّ به حذيفة على رسول الله ﷺ ليؤكد على صعوبة التعرف على هؤلاء الذين أرادوا قتله؛ إذ إنهم كانوا في ظلمة، وكانوا يغطون وجوههم باللثام؛ الأمر الذي يؤكد أن تعرف الرسول ﷺ وذكره لأسمائهم إنما كان بوحي من ربه عز وجل .

وعندما أراد فضالة بن عمير قتل النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله ﷺ : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله، قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك النبي ﷺ ، ثم

(١) المِحجَن : العصا المعوجة . ابن منظور : لسان العرب ، ص٧٩١ ، مادة (حجن) .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٦م ، جـ٤ ، ص٣٤ .

(٣) البيهقي : دلائل النبوة ، جـ٥ ، ص٢٥٧ .

قال : استغفر الله، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيء أحب إليَّ منه[١].

٢ ـ منع أعدائه من قتله أو التعرض له :

تجلت حراسة المولى – سبحانه وتعالى – لنبيه ﷺ ، وحفظه له في منع هؤلاء الذين أرادوا التعرض له أو التخلص منه وقتله ، وقد اتضح هذا الأمر في العديد من المواقف نذكر منها :

كان أبو جهل بن هشام من أشد المجاهرين بالظلم والإيذاء للرسول ﷺ [٢]، وبعد أن فشل كفار قريش في إجباره ﷺ على العدول عن دعوته، قال أبو جهل : يا معشر قريش، إن محمدًا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غدًا بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبدًا، فامض لما تريد[٣] .

فلما أصبح أبو جهل، أخذ حجرًا كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ، فلما حضر ﷺ وبينما هو ساجد، احتمل أبو جهل الحجر، حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا

---

(١) الكلاعي : الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق : د/ محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م ، مج١ ، جـ٢ ، ص٢٣٠ . ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص٥٨٣ ، ٥٨٤. القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، تحقيق : صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، جـ١ ، ص٥٨٤.

(٢) ابن عبد البر : الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق : د/ شوقي ضيف ، ط. القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، ص٤٧ .

(٣) الكلاعي : الاكتفاء ، مج١ ، جـ١ ، ص٢٣١ .

مرعوبًا، وقذف الحجر من يده، فقامت إليه رجال قريش، وقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته، ولا مثل قصرته – أي عنقه – ولا أنيابه لفحل قط، فهمَّ بي أن يأكلني[1].

وبذلك يتضح أن المولى – سبحانه وتعالى – قد وضع أمام أبي جهل ما حال بينه وبين القيام بما عزم عليه من قتل النبي ﷺ ، ونجّى نبيه من تلك المحاولة الآثمة .

وقد ثبت عن سعد بن أبي وقاص[2] أنه قال : « لقد رأيت يوم أحد عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره رجلين عليهما ثياب بيض، يقاتلان عن رسول الله ﷺ كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد »[3].

وعندما بلغ رسول الله ﷺ أن جمعًا من بني ثعلبة ومحارب بذي أَمَر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا شيئًا من المسلمين، خرج في أربعمائة وخمسين رجلاً،

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ١ ، ص٢٦٤ .

(٢) سعد بن أبي وقاص : اسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبدمناف بن زهرة، أحد السابقين الأولين، أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد من شهد بدرًا والحديبية، وأحد الستة أهل الشورى الذين اختارهم عمر بن الخطاب، توفي سنة ٥٥هـ ، وقيل ٥٦ هـ ، وقيل ٥٧ هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : حسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، جـ١ ، ص٩٢ – ١٢٤ .

(٣) مسلم : المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، تحقيق : أبوقتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م ، مج١ (كتاب الفضائل ، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد)، ص١٠٩١ ، رقم (٢٣٠٦) . ابن قيم الجوزية : فقه السيرة النبوية ، ص١٨٤ .

ولكنهم هربوا فوق رؤوس الجبال[١]، غير أن النبي ﷺ عندما وصل إلى ذي أمر وعسكر هناك أصابه مطر، فبلّ ثوبه، فنزعها وعلقها على شجرة، ونام تحتها، فقالت الأعراب لدعثور بن الحارث[٢] : قد أمكنك محمد وقد انفرد من أصحابه، فإن غوَّث بأصحابه لم يُغَث حتى تقتله، فأخذ سيفًا صارمًا، وانحدر إليه، فلم يشعر به رسول الله إلا وهو واقف على رأسه بالسيف، وهو يقول : من يمنعك مني يا محمد، فقال رسول الله ﷺ : الله، فدفع جبريل عليه السلام في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ ، وقام على رأسه، فقال : من يمنعك مني اليوم؟ قال : لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعًا أبدًا، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، ثم أدبر[٣].

وعندما أتي قومه قالوا له : أين ما كنت تقول وقد أمكنك والسيف في يدك، قال: قد كان والله ذلك رأيي، ولكن نظرت إلى رجل أبيض طويل، فدفع في صدري، فوقعت لظهري، وعرفت أنه ملك، وشهدت أن محمدًا رسول الله، ووالله لا أكثر عليه، وجعل يدعو قومه إلى الإسلام[٤].

وهناك رواية أخرى ذكرت أنه أثناء عودة الرسول من غزوة ذات الرقاع، نزل تحت شجرة، علَّق بها سيفه، ثم نادى أصحابه، وعندما أقبلوا وجدوا عنده

---

(١) البيهقي : دلائل النبوة ، جـ٣ ، ص١٦٨. ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، جـ٣ ، ص١٥٧.

(٢) دعثور بن الحارث : هو دعثور بن الحارث الغطفاني ، ذكر ابن الأثير أنه لم يُذكر إسلامه إلا في هذه الرواية . انظر أسد الغابة ، جـ٢ ، ص٢٠٠ .

(٣) الواقدي : المغازي ، جـ١ ، ص١٩٥ . ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص٤ .

(٤) البيهقي : دلائل النبوة ، جـ٣ ، ص١٦٩ .

أعرابي[١] جالس، فقال ﷺ : إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتًا[٢] ، فقال له من يمنعك مني ؟ قال : الله، فها هو جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ [٣] .

وظاهر الكلام أنهما قصتان في غزوتين[٤] ، يقول ابن كثير: « إن كانت هذه محفوظة فهي غيرها قطعًا؛ لأن ذلك الرجل اسمه غورث، لم يسلم بل استمر على دينه، ولم يكن عاهد النبي ألا يقاتله »[٥] .

وهناك محاولة أخرى لقتل النبي ﷺ ، قام بها شيبة بن عثمان بن أبي طلحة[٦]، إذ يُذكر أنه عندما فتح النبي ﷺ مكة، حدثته نفسه أن يسير معه إلى حنين؛ لعله يصيب منه غرة فيدرك ثأره[٧]، فلما اختلط الناس، وهمَّ أن يفعل ما أراد، أراد، رُفع له شواظ من نار كالبرق، حتى يقال إنه وضع يده على بصره خوفًا

(١) قيل إن اسم هذا الأعرابي غورث بن الحارث . انظر ابن حجر : فتح الباري ، جـ٧ ، ص٤٩١ .

(٢) صلتًا : أي مجرداً من غمده . انظر ابن حجر : فتح الباري ، جـ٧ ، ص٤٩٢ .

(٣) البخاري : الصحيح (كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع) ، ص١٢١ ، ١٢٢ ، رقم (٤١٣٥)

(٤) ابن حجر : فتح الباري ، جـ٧ ، ص٤٩٣ .

(٥) ابن كثير: السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص٤ .

(٦) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة : صاحب مفتاح الكعبة ، أظهر شيبة الإسلام يوم الفتح، وشهد حنينًا وفي قلبه شئ من الشك ، ولكن أسلم وحسن إسلامه ، وقاتل يومئذ ، وصبر فيمن صبر، توفي سنة ٥٩ هـ ، وقيل : بقي إلى أيام يزيد بن معاوية . ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٨ ، ص٢١٣ .

(٧) كان عثمان بن أبي طلحة – والد شيبة – قد قتل يوم أحد . السهيلي : الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، مطبعة عباس عبدالسلام شقرون ، القاهرة ، بدون تاريخ ، جـ٤ ، ص١٢٤ .

منه[1]، وهناك رواية أخرى تذكر أنه قال : « غشيتني ظلمة حتى لا أبصر، فعرفت أنه ممتنع مني، وأيقنت بالإسلام »[2]، وهناك رواية ثالثة تذكر أنه قال : « فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي، فلم أطق ذلك، وعلمت أنه ممنوع »[3].

وأيًا كان ما تعرض له شيبة بن عثمان، فلا شك أنه أيقن أن هذا النبي معصوم من ربه، ممنوع من أن يقدم أحد على قتله، أو النيل منه.

ويروي شيبة ما حدث له بعد ذلك، فيقول : « ... فالتفت إليَّ رسول الله ﷺ ، فناداني : يا شيب ادن مني ، فدنوت منه، فمسح صدري، ثم قال: اللهم أعذه من الشيطان ، فوالله لهو كان ساعتئذٍ أحب إليَّ من سمعي وبصري ونفسي، وأذهب الله ما كان في نفسي ... »[4].

هذه أمثلة توضح حفظ الله – تعالى – لنبيه ﷺ وحراسته له من تدابير أعدائه، ومحاولاتهم المتكررة للتخلص منه بشتى الطرق والوسائل، ومقابلة الرسول ﷺ هذه الأفعال بالعفو والصفح، بل والدعوة لبعضهم بالهداية .

- ما قيل في قوله تعالى : { وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ }[5]:

المقصود بالعَصْم : الإمساك، والاعتصام، وعصمة الأنبياء : حفظه إياهم أولاً بما خصهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الحميمة، ثم بالنصرة، وبتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم، وبالتوفيق[1].

---

(١) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة والعشرون ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م ، جـ٣ ، ص٤٧٠.

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ٣ ، ص٩٠٩.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص٦٥ . البيهقي : دلائل النبوة ، جـ٥ ، ص١٢٨.

(٤) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، جـ٣ ، ص٤٧٠.

(٥) سورة المائدة : من الآية (٦٧) .

وهناك رواية تذكر أن النبي ﷺ كان يُحرَس، حيث كان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه، حتى نزلت هذه الآية، فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه، فقال : « يا عم إن الله تعالى قد عصمني من الجن والإنس »[٢].

غير أن هذا الحديث فيه كلام : إذ إن في إسناده النضر بن عبد الرحمن[٣]، وهو ضعيف[٤]، وقد صرح ابن كثير بأن هذا الحديث غريب، وأن هذه الآية مدنية، بل من أواخر ما نزل بها[٥]، وهو ما ذكره القرطبي حيث قال : « إن ظاهر هذا الحديث يقتضي أن ذلك كان بمكة، وأن الآية مكية، وليس كذلك، إذ إن هذه السورة مدنية بالإجماع »[٦].

---

(١) الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ، ص٥٦٩ ، ٥٧٠.

(٢) الواحدي : أسباب نزول القرآن ، تحقيق: كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، ص٢٠٥ . ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ، ج ٢، ص٣٩٦ . السيوطي: أسباب النزول ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، ص١٠٦ ، ١٠٧.

(٣) ذكر الذهبي أن اسمه النضر بن عبدالرحمن أبوعمر الخزَّاز ، وأنهم ضعفوه جدًا . انظر المغني في الضعفاء ، تحقيق : نور الدين عتر ، ط . إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، بدون تاريخ ، جـ٢ ، ص٣٥٣ .

(٤) الهيثمي : مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ ، جـ٧ ، ص٦٧.

(٥) ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٥ ، ص٢٩١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُنة وآي الفرقان ، تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، جـ٨ ، ص٩٢.

وقد وردت العديد من الروايات التي تؤكد أن الرسول ﷺ كان يحرسه أصحابه حتى نزلت هذه الآية، فخرج على الناس، فقال: « أيها الناس إلحقوا بملاحقكم فإن الله ﷻ قد عصمني من الناس »[١].

وفي رواية أخرى عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت : كان النبي ﷺ يُحرَس حتى نزلت هذه الآية ، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم : « أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمني الله »[٢].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : « كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه، فلما نزلت : { والله يعصمك من الناس ...} ترك رسول الله ﷺ الحرس »[٣].

وعن عصمة بن مالك الخطمي ﷺ أنه قال : كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل، فلما نزلت { والله يعصمك من الناس ...} فترك الحرس[٤].

---

(١) ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ط . القاهرة ، بدون تاريخ ، جـ١ ، ص٣٠١ . الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، ص٤٥٨.

(٢) الترمذي: السنن (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ، باب " ومن سورة المائدة ") ، ص٦٨٢ ، رقم (٣٠٤٦) . البيهقي : دلائل النبوة ، جـ٢ ، ص١٨٤ . البغوي : تفسير البغوي « معالم التنزيل »، تحقيق : محمد عبدالله النمر وآخرَين ، دار طيبة للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م ، مج٣ ، ص١٠٨. ابن الجوزي: الوفا بأحوال المصطفى ، تحقيق : محمد زهري النجار ، المؤسسة السعيدية ، الرياض ، بدون تاريخ ، جـ١ ، ص٤٠٩ .

(٣) الهيثمي : مجمع الزوائد ، جـ٧ ، ص١٧ . السيوطي : أسباب النزول ، ص١٠٦.

(٤) السيوطي : أسباب النزول ، ص ١٠٦ .

فإن قيل كيف نجمع بين عصمة الله لنبيه، وبين ما صح أنه عليه الصلاة والسلام شُج وجهه يوم أحد، وكسرت رباعيته، وبولغ في إذائه ؟

والجواب من وجهين :

أحدهما : ليس في الآية ما ينافي الحراسة، كما أن إعلام الله نصر نبيه وإظهار دينه لا يمنع الأمر بالقتال وإعداد العدة ، وعلى هذا فالمراد العصمة من الفتنة والإضلال ، أو إزهاق الروح[١] .

وعلى هذا يكون معنى الآية أن يعصمك الله من القتل، فلا يصلون إلى قتلك، فأما عوارض الأذى فلا تمنع من ذلك، بل إن فيه التنبيه على أنه يجب عليه أن يحتمل كل ما دون النفس من أنواع البلاء[٢] .

الثاني : أن هذه الآية نزلت بعدما شُج رأسه يوم أحد؛ لأن سورة المائدة من أواخر ما نزل من القرآن[٣].

وبذلك يتضح أنه ليس معنى عصمة الله تعالى أن يكون الوصول إلى الحق هينًا لينًا سهلاً، بل لابد من الجهاد، ولابد من نزول البلاء، بل بتوالي البلاء، كما قال الله تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ }[٤]، فالعصمة هي عصمة النفس والجسم من القتل، والدعوة من أن يعوق

(١) ابن حجر: فتح الباري ، جـ٦ ، ص٩٦ ، ٩٧ .

(٢) البغوي : تفسير البغوي، ص٧٩. ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، جـ٢، ص٣٩٧. الفخر الرازي : مفاتيح الغيب ، جـ١٢ ، ص٥٣ .

(٣) البغوي : تفسير البغوي، ص٧٩. ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، جـ٢، ص٣٩٧. الفخر الرازي : مفاتيح الغيب ، جـ١٢ ، ص٥٣ .

(٤) سورة البقرة ، من الآية (٢١٤) .

طريقها ويقضى عليها، وإن كان الأذى البدني يقع كشج رأسه وكسر ثنياته، وغير ذلك مما كان يفعله المشركون واليهود معه ﷺ[1].

وعلى أية حال، فإذا أخذنا بالوجه الأول فإن حراسة الصحابة للنبي لم تكن لحمايته من القتل، فإن الله – تعالى – قد تكفل بذلك، وإنما لحمايته مما دون ذلك من الإيذاء، أو النيل منه ﷺ .

(١) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ ، مج٥، ص٢٢٩٠.

المبحث الثاني

حراسة الصحابة للنبي ﷺ

كان النبي ﷺ يمثل القيادة العامة للمسلمين، ولا شك أنه في كل زمان ومكان للقيادة دورها البارز في توجيه أمر الدولة وإرساء دعائمها، فحولها يلتف الناس، وتتوحد كلمتهم، وتثمر دعوتهم؛ لذا لزم العناية والاهتمام بها، وعدم التفريط فيها، إذ لا بد من حمايتها من غدر الغادرين، وتآمر المتآمرين، وكيد الكائدين الذين يتربصون بالإسلام ودعاته الدوائر، ويضمرون له الحقد، ويودون إطفاء نور الإسلام [١].

والمتتبع لسيرة رسول الله ﷺ يجد أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا يهتمون بحراسة قائد الدعوة ﷺ ، وقد تضمنت السيرة العديد من المواطن التي فرض فيها الصحابة الحراسة اللصيقة والصارمة على قائد الدعوة عليه الصلاة والسلام[٢].

(١) حراسة النبي ﷺ في مكة :

فقد ذكرنا آنفًا أن أبا طالب – عم النبي ﷺ – كان يرسل معه كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه، بل يذكر أنه عندما اشتد البلاء على رسول الله ﷺ والمسلمين، واجتمعت قريش على قتله علانية، جمع أبو طالب بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ويمنعوه ممن أرادوا قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانًا ويقينًا، وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه؛ حتى

(١) د/ إبراهيم علي محمد أحمد : الاستخبارات في دولة المدينة المنورة ، ط. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م ، ص١٥٦ .

(٢) د/ إبراهيم علي محمد أحمد : الاستخبارات في دولة المدينة المنورة ، ص١٥٦ .

يرى ذلك من أراد اغتياله أو المكر به، حتى إذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه، فاضطجع على فراش النبي ﷺ ، وأمر النبي ﷺ أن يأتي بعض فرشهم، فينام عليه[١] .

ويُذكر – أيضًا – أن النبي ﷺ كان إذا صلى في الحجر، قام عمر بن الخطاب ﷺ على رأسه بالسيف حتى يصلي[٢] .

وهنا رواية تذكر أن النبي ﷺ كان يخرج إلى الكعبة أول النهار، ويصلي صلاة الضحى، وكانت تلك صلاة لا تنكرها قريش، وكان إذا صلى في سائر اليوم بعد ذلك، قعد علي بن أبي طالب ﷺ أو زيد بن حارثة ﷺ يرصد له[٣].

(٢) حراسة النبي ﷺ أثناء الهجرة :

لما خرج الرسول ﷺ للهجرة من مكة إلى المدينة وخرج معه أبوبكر، جعل يمشي مرة أمامه، ومرة خلفه، ومرة عن يمينه، ومرة عن يساره، فقال له رسول الله ﷺ : ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا عن فعلك ! قال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك ، وأذكر الطلب فأكون خلفك ، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك[٤] .

---

(١) موسى بن عقبة : المغازي، تحقيق : محمد باقشيش أبو مالك، ط. المغرب ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م ، ص ٨٢ .

(٢) ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة ، جـ١ ، ص٣٠٠ . الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية، ص٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(٣) البلاذري : جمل من أنساب الأشراف، تحقيق : د/ سهيل زكار، د/ رياض زركل ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ، جـ١ ، ص١٢٦.

(٤) البيهقي : دلائل النبوة ، جـ١ ، ص٤٧٦ .

وقد ظل أبو بكر كذلك حتى إذا انتهى إلى غار ثور قال لرسول الله ﷺ:كما أنت حتى أدخل يدي فأحسه وأقصه ، فإن كانت فيه دابة أصابتني قبلك[1] .

وبذلك يتضح أن أبا بكر الصديق كان يقوم بدور الحارس للنبي ﷺ أثناء الهجرة؛ وذلك نظرًا لما بدر من قريش من رغبة في قتله والنيل منه حسبما تم الاتفاق عليه في دار الندوة ، ولا شك أن أبا بكر كان يدرك مدى الخطر الذي كان يحيق برسول الله في ذلك الوقت العصيب .

(٣) حراسة النبي ﷺ في غزوة بدر :

عندما تمركز المسلمون في المكان الذي وقع الاختيار عليه للقاء المشركين في غزوة بدر، قال سعد بن معاذ للنبي ﷺ : يا رسول الله نبني لك عريشًا[2] فتكون فيه، ونعد عندك ركائبك، ثم نلقي عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حبًا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله تعالى بهم، يناصحونك ويجاهدون معك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير، ثم بُني العريش فكان فيه هو وأبو بكر[3]، وذلك على تل يشرف

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، دار هجر الطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م ، جـ٤ ، ص٤٤٨ .

(٢) العريش : كل ما علاك وأظلك من فوقك، فإن علوته فهو عرش لك لا عريش . الخزاعي : تخريج الدلالات السمعية ، ص٢٥١.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص ١٩٢. الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢، ص٤٤٠ ، ٤٤١. ابن حبان : كتاب الثقات ، جـ١ ، ص١٦٢. أبو القاسم التيمي : المبعث والمغازي ، تحقيق : محمد بن خليفة الرباح ، دار الوليد ، طرابلس ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م،مج١، ص٢٩٧ ، ٢٩٨. ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٣، ص١٠٣ ، ١٠٤.

على المعركة[١].

ولا شك أن هذه الفكرة التي أشار بها سعد بن معاذ هي من أدق فنون الحرب، فالقائد ينبغي أن يكون بمنأى عن ميدان القتال، حتى يكون قادرًا على التوجيه والإشارة بما يراه مناسبًا من أساليب القتال، وحتى لا يُصاب، فينفرط بإصابته عقد الجيش، فيكون مآله الفشل والهزيمة [٢].

وبعد أن تمَّ بناء العريش، ودخله رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر الصديق، كان سعد بن معاذ على باب العريش متوشحًا سيفه في نفر من الأنصار، يحرسونه ﷺ ؛ خوفًا عليه من أن يدهمه العدو، أو ينال منه[٣] .

وفي هذا الصدد يروى أن علي بن أبي طالب ﷺ قال لجمع من الصحابة: أخبروني عن أشجع الناس؟ قالوا : أنت يا أمير المؤمنين، فقال : أما أنا ما بارزني أحد إلا انتصفت منه، ولكن هو أبو بكر، إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ ؛ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين ؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر، شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ ، لا يهوي إليه أحد إلا

(١) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، جـ٣ ، ص١٧٥.

(٢) موسى بن راشد العازمي : اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، دار الصميعي للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م ، جـ٢ ، ص٣٨٩ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص١٩٦ ، ١٩٧. ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢، ص١٤. ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق : د/ محمد العيد الخطراوي ومحيي الدين متو ، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة ، بدون تاريخ ، جـ ١، ص٣٩٨ . ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، جـ٣، ص١٨٤. محمد عبدالحي الكتاني : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، تحقيق : د/ عبدالله الخالدي ، دار الأرقم ، بيروت ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، جـ١ ، ص٢٨٧ .

أهوى إليه، فهذا أشجع الناس[١]، وهو ما يؤكد أن أبا بكر كان يقوم بدور الحارس للنبي ﷺ .

وعلى أية حال، فلا شك أن الحراسة هنا كانت ضرورية وواجبة، فرضتها ظروف الزمان والمكان، فمن أبرز أهداف قريش القضاء على قائد الدعوة؛ لهذا كانت تسعى جاهدة للنيل منه بشتى السبل، ذلك أنها كانت ترى أن القضاء عليه بمنزلة القضاء على الإسلام، ومنعًا لحدوث ذلك من قريش تجاه الرسول ﷺ كانت الحراسة اللصيقة من قبل المسلمين لقائدهم[٢] .

وهنا لابد من الإشارة إلى أنه على الرغم من أن النبي ﷺ كان له عريش يدير منه المعركة – كما هو ثابت في الروايات – إلا أنه ليس معنى ذلك أن النبي ﷺ اقتصر دوره على البقاء في العريش، بل نزل إلى ساحة القتال، وشارك فيه.[٣]

فقد ذكرت الروايات أن رسول الله ﷺ أخذ حفنة من الحصى، وخرج من العريش، فاستقبل بها قريشًا، وقال : « شَاهَت الْوُجُوه » ، ثمَّ نفحهم بهَا[٤]، وقال:

---

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٤١٠ ، ٤١١. ابن برهان الدين الحلبي: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروف بالسيرة الحلبية ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة الطبعة الثالثة،١٣٥١هـ / ١٩٣٢م ، جـ٢ ، ص٣٣٢ . أحمد محمد العليمي باوزير: مرويات غزوة بدر، مكتبة طيبة ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ، ص١٨٦.

(٢) د/ إبراهيم علي محمد أحمد : الاستخبارات في دولة المدينة المنورة ، ص١٥٧.

(٣) أحمد محمد العليمي باوزير : مرويات غزوة بدر، ص١٨٧.

(٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك، جـ٢، ص ٤٤٩. ابن الجوزي: المنتظم، جـ٣، ص ١٠٩. الكلاعي : الاكتفاء ، مج١ ، جـ٢ ، ص٢٥ . الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (المغازي) ، تحقيق : د/ عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م ، جـ ، ص٥٨. ابن كثير : السيرة النبوية، جـ٢، ص٤٣٥.

« وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ لَا يقاتلهم رجل الْيَوْم فَيقْتل صَابِرًا محتسبًا مُقبلًا غير مُدبر إِلَّا أدخلهُ اللَّه الْجنَّة »[١].

بل يُذكر إن النبي ﷺ كان يباشر القتال يوم بدر بنفسه ، قال علي بن أبي طالب ﷺ : « لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا »[٢].

وفي ذلك يقول ابن كثير (ت٧٧٤ هـ) : « وقد قاتل بنفسه الكريمة قتالاً شديدًا ببدنه، وكذلك أبو بكر الصديق، كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا وحثَّا على القتال، وقاتلا بالأبدان؛ جمعًا بين المقامين الشريفين »[٣].

وبذلك يتضح أن الرسول ﷺ لم يكن يلزم العريش طوال المعركة، إذ ليس معنى بناء عريش له أن ينقطع القائد عن المعركة التي يديرها، فبرغم ما قيل من أنهم صنعوا للنبي ﷺ عريشًا، فقد رووا أنه كان أشد الناس بأسًا، وكان أقرب إلى العدو من كل الناس، ولا يمكن أن يكون هذا الوصف إلا لمن يزاول القتال، ويغشى صفوف المحاربين[٤].

---

(١) ابن حبان: كتاب الثقات ، جـ١ ، ص١٦٨ .

(٢) أحمد بن حنبل : المسند ، جـ٢ ، ص٨١ ، رقم (٦٥٤) . د/ أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م ، جـ٢ ، ص٣٦٣ .

(٣) السيرة النبوية ، جـ٢، ص٤٢٤ ، ٤٢٥.

(٤) جمال حماد : غزوة بدر من الناحيتين العسكرية والسياسية، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الجمهورية العربية المتحدة ، بدون تاريخ ، ص٩٦.

(٤) حراسة النبي ﷺ بعد الانتصار في بدر :

بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر، أخذت مكة تغلي كالمرجل، تهدد وتتوعد، حيث أعلنت التعبئة العامة لغسل عار الهزيمة التي لحقت بها[١]، بل إن بعضهم فكر في اغتيال النبي ﷺ والتخلص منه؛ باعتباره المسئول عن وقوع هذه الهزيمة؛ وبذلك يكونوا قد أخذوا الثأر لقتلاهم.

جلس عمير بن وهب الجمحي[٢] مع صفوان بن أمية في الحجر بعد هزيمة قريش في معركة بدر، وكان عمير هذا ممن يؤذي رسول الله ﷺ ، وأصحابه في مكة، وكان ابنه وهب بن عمير من أسارى بدر، فذكر قتلاهم ومصابهم في بدر، فقال صفوان : والله ليس في العيش بعدهم خير، فقال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين عليَّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فاغتنمها صفوان، وقال : عليَّ دينك، وأنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، فقال له عمير : فاكتم شأني وشأنك، قال : أفعل[٣] .

أمر عمير بسيفه فشُحذ له وسُم، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر ابن الخطاب ﷺ في نفر من المسلمين في المسجد يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون

---

(١) محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م ، جـ١، ص٢٤٣ ، ٢٤٤.

(٢) عمير بن وهب الجمحي : هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، يكنى أبا أمية ، كان له قدر وشرف في قريش ، وشهد بدرًا كافرًا ، ثم أسلم فشهد أحدًا وفتح مكة وعاش إلى خلافة عثمان بن عفان . ابن عبدالبر : الاستيعاب ، مج٢ ، ص١٢٢١ – ١٢٢٤ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٢٢٠ ، ٢٢١. ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٣، ص١٢٥ ، ١٢٦ .

ما أكرمهم الله ﷻ به، وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب، وقد أناخ بعيره على باب المسجد، متوشحًا السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرَّش[1] بيننا، وحزرنا[2] للقوم يوم بدر ثم دخل عمر على رسول الله ، فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحًا سيفه، قال: فأدخله عليَ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه، فلبَّبه بها، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله فاجلسوا عنده، واحذروا هذا الخبيث عليه، فإنه غير مأمون[3].

فلما دخل عمير على النبي ﷺ قال له : ما أقدمك؟ قَالَ: قدمتُ فِي ابنى وهو أسير عندكم لتقاربونا فيه ، فقَالَ النَّبِيّ ﷺ : فما هذا السيف ؟ قال: لعنها اللَّه من سيوف، وهل أغنت عنا شيئًا يوم بدر؟ إنَّما نسيته فِي رقبتي حين نزلتُ، فقال: اصدقنى فيما قدمت، قال: قدمتُ بسبب أسيري وهب بن عمير بن وهب، قَالَ: فما شرطت لصفوان وما اشترطت عَلَيْهِ ؟ فقد ضمنتَ لَهُ قتلي عَلَى أن يقضي دينك، ويعول عيالك ، والله حائل بينك وبين إرادتك فقال عمير: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُول اللَّه، هَذَا والله وحي السماء ، والله ما سَمِعَ هَذَا من صفوان أحد سواي، وما سمعه مني أحد، فأطلق رَسُول اللَّه ﷺ أسيره[4] .

---

(١) حرَّش : أي أفسد وأغرى بعضهم ببعض . ابن منظور: لسان العرب ، جـ١٠ ، ص٨٣٤ مادة (حرش) .

(٢) حزر : الحزر التقدير ، وحَزَرَ الشئ يَحزُرُه ويَحزِرُه حَزرًا : قدره . ابن منظور : لسان العرب ، جـ١٠ ، ص٨٥٥ ، مادة (حزر) .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ، ص٤٧٣ . ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ١، ص٤١٣ ، ٤١٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام (المغازي) ، جـ١، ص٧٢ .

(٤) البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، جـ١، ص٣٦٥. وانظر أيضًا الكلاعي : الاكتفاء ، مج١ ، جـ٢ ، ص٤٨ .

وبذلك يظهر الحس الأمني الذي كان يتميز به الصحابة، فقد انتبه عمر ابن الخطاب لمجيء عمير بن وهب، وحذَّر منه، وأعلن أن ما جاء إلا لشر، فقد كان تاريخه معروفًا لدى عمر، إذ إنه كان يؤذي المسلمين في مكة، وهو الذي حرَّض على قتال المسلمين في بدر، وعمل على جمع معلومات عن عددهم؛ ولذلك شرع عمر في أخذ الأسباب لحماية الرسول ﷺ فمن جهته أمسك بحمالة سيف عمير الذي في عنقه بشدة؛ فعطله بذلك عن إمكانية استخدام سيفه للاعتداء على الرسول ﷺ ، كما أمر نفرًا من الصحابة بحراسته[1].

ولا شك أنه في هذا الموقف قد اجتمعت الحراسة الإلهية والحراسة البشرية للنبي ﷺ ، وتتجلى الحراسة الإلهية في إخبار الله ﷻ لنبيه بما دبره صفوان بن أمية وعمير بن وهب وعزما على فعله، ثم كانت الحراسة البشرية بوجود عدد من الصحابة بالقرب منه ﷺ طبقًا لما أشار به عليهم عمر بن الخطاب؛ خوفًا عليه من أي خيانة أو غدر يقوم بها عمير بن وهب .

(٥) حراسة النبي ﷺ في غزوة أحد :

عندما تلقى النبي ﷺ الرسالة التي بعث بها عمه العباس بن عبد المطلب، يخبره فيها بما عزم عليه كفار قريش من غزو المدينة[2]، قام نفر من الصحابة ليلة المعركة – السبت السابع من شوال سنة ثلاث من الهجرة –

(١) د/ علي محمد الصلابي : السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م ، ص٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبير ، جـ٢ ، ص٣٣ . البلاذري: جمل من أنساب الأشراف ، جـ١، ص٣٨٣.

بحراسة النبي ﷺ ، منهم: سعد بن معاذ[١]، وأسيد بن خضير[٢]، وسعد بن عبادة[٣]، حيث باتوا على بابه حتى الصباح[٤].

ولا شك أن الحراسة هنا لها ما يبررها، حيث لا يُستبعد أن ترسل قريش من يقوم بمهاجمة النبي ﷺ في جنح الظلام؛ لينال منه، ولما كان هذا الاحتمال واردًا، فقد ضرب الصحابة هذه الحراسة المكونة من رجال أشداء أقوياء من الأنصار؛ مما يؤكد حرص واهتمام الصحابة بأمن قائدهم ﷺ [٥].

(١) سعد بن معاذ : هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل ، شهد بدر وأحد ، ورمي بسهم يوم الخندق فبرأ ، ثم انفجر جرحه فسال الدم منه ، ومات . الطبراني : المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣م ، جـ٦ ، ص٨٠٥ .

(٢) أسيد بن حضير : هو أسيد بن حضير بن سمَّاك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد ابن عبدالأشهل ، أسلم على يد مصعب بن عمير ، وكان ممن شهد العقبة الثانية ، ذكر البعض أنه لم يشهد بدر ، وقيل شهدها وشهد أحدًا وما بعدهما من المشاهد ، وتوفي سنة ٢٠هـ وقيل ٢١ هـ . ابن عبدالبر : الاستيعاب ، مج١، ص ٩٢ – ٩٤ .

(٣) سعد بن عبادة : شهد العقبة ، وكان أحد النقباء الاثني عشر ، شهد المشاهد كلها ماعدا بدر ، فإنه تهيأ للخروج فلُدغ فأقام . ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م ، ص٩٦ .

(٤) الواقدي : المغازي ، جـ١ ، ص٢٠٨ . ابن سعد : الطبقات الكبير ، جـ٢ ، ص٣٤ . ابن الجوزي : الوفا ، جـ٢ ، ص٣٩٩ .

(٥) د/ إبراهيم علي محمد أحمد: الاستخبارات في دولة المدينة المنورة ، ص١٥٧ ، ١٥٨.

ولم يقتصر الأمر على هذا ، إذ يُذكر أنه عندما انصرف النبي ﷺ من أحد مساء يوم السبت، بات تلك الليلة على بابه جماعة من وجوه الأنصار، في الوقت الذي بات فيه المسلمون يداوون جراحاتهم[١] .

وقد ذكر الواقدي(ت ٢٠٧هـ) أثناء حديثه عن غزوة حمراء الأسد[٢] – التي خرج إليها المسلمون في اليوم التالي لغزوة أحد – أن رسول الله ﷺ صلى الصبح يوم الأحد ومعه وجوه الأوس والخزرج، وكان قد بات في المسجد على بابه سعد بن عبادة، وحباب بن المنذر، وسعد بن معاذ، وأوس بن خولي[٣]، وقتادة بن النعمان[٤]، وعبيد بن أوس[٥] في عدة منهم، فلما انصرف رسول الله ﷺ أمر بلالاً

(١) ابن سعد : الطبقات الكبير ، جـ٢ ، ص٤٥ .

(٢) حمراء الأسد : موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ ، مج٢ ، ص٣٠١ .

(٣) أوس بن خولي : هو أوس بن خولي بن عبدالله بن الحارث الأنصاري الخزرجي ، شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله ، آخى النبي بينه وبين شجاع بن وهب الأسدي ، توفي في المدينة في خلافة عثمان بن عفان . ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ١ ، ص١٧٠ .

(٤) قتادة بن النعمان : هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر، كان من فضلاء الأنصار ، شهد بدرًا والمشاهد كلها، توفي سنة ٢٣ هـ ، وقيل ٢٤ هـ ، وكان عمره ٦٥ سنة . انظر ابن عبدالبر : الاستيعاب ، مج٣ ، ص١٢٧٤ – ١٢٧٧ .

(٥) عبيد بن أوس : هو عبيد بن أوس بن مالك بن سواد بن كعب الأنصاري ، يكنى أبا النعمان ، يقال له مقرن؛ لأنه قرن أربعة أسرى يوم بدر ، وهو الذي أسر عقيل بن أبي طالب، وقيل إنه أسر العباس ونوفل وعقيل . انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ٣ ، ص٤٣٠ .

أن ينادي: إن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس[١].

ولا شك أن وجود هذا العدد من الصحابة، وقيامهم بحراسة الرسول ﷺ في هذا التوقيت كان أمرًا ضروريًا للغاية، خاصة بعد فشل كفار قريش في قتل النبي ﷺ في غزوة أحد؛ الأمر الذي قد يدفعهم إلى معاودة الكرة مرة أخرى .

(٦) حراسة النبي ﷺ في غزوة الخندق :

كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة، وكان سببها أن نفرًا من اليهود خرجوا فأتوا مكة، ودعوا قريشًا إلى حرب رسول الله ﷺ ، فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم إلى مثل ذلك فأجابوهم، فخرجت قريش يقودهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان، فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماعهم وخروجهم إليه استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي[٢] بحفر الخندق، فرضي رأيه[٣]، وقد أقام المشركون محاصرين للمدينة شهرًا[٤].

---

(١) المغازي ، جـ١ ، ص٣٣٤ .

(٢) سلمان الفارسي : مولى رسول الله ، أصله من فارس ، كانت الخندق أول مشاهده مع رسول الله ، ولم يتخلف عن مشهد بعدها ، آخى النبي بينه وبين أبي الدرداء ، كان من خيار الصحابة وزهادهم وفضلائهم ، توفي سنة ٣٥ هـ ، وقيل ٣٦ هـ ، وقيل توفي في خلافة عمر . انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ٢ ، ص٢٦٥ – ٢٧٠ .

(٣) ابن عبدالبر: الدرر ، ص١٧٩ ، ١٨٠ .

(٤) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد، جـ٣ ، ص٢٧٢.

وتؤكد المصادر أن عباد بن بشر[١] كان في هذه الغزوة على حرس قبة رسول الله ﷺ ، مع غيره من الأنصار، يحرسونه كل ليلة[٢]، ويؤكد هذا قول أم سلمة – رضي الله عنها– : « يرحم الله عباد بن بشر، فإنه كان ألزم أصحاب رسول الله ﷺ لقبة رسول الله، يحرسها أبدًا »[٣] .

ولعل مما يؤكد قيام عباد بن بشر بهذا الدور ما ذكرته أم سلمة، حيث قالت : « والله إني لفي جوف الليل في قبة النبي ﷺ وهو نائم، إلى أن سمعت الهيعة، وقائل يقول: يا خيل الله! وكان رسول الله ﷺ جعل شعار المهاجرين « يا خيل الله » ، ففزع رسول الله ﷺ بصوته فخرج من القبة، فإذا نفر من الصحابة عند قبته يحرسونها، منهم عباد بن بشر، فقال: ما بال الناس ؟ قال عباد: يا رسول الله، هذا صوت عمر بن الخطاب، الليلة نوبته ينادي: يا خيل الله ، والناس يثوبون إليه ... ، فقال رسول الله ﷺ : اذهب فانظر، ثم ارجع إليَّ إن شاء الله فأخبرني ... ، فلم يزل رسول الله ﷺ قائمًا حتى جاءه عباد فقال: يا رسول الله، هذا عمرو بن عبد في خيل المشركين، معه مسعود بن رخية بن نويرة بن طريف في خيل غطفان، والمسلمون يرامونهم بالنبل والحجارة، فدخل رسول الله ﷺ ، فلبس درعه ومغفره، وركب فرسه، وخرج معه أصحابه، حتى أتى تلك الثغرة، فلم يلبث أن رجع وهو مسرور فقال: صرفهم الله، وقد كثرت فيهم الجراح، فنام ﷺ حتى سمعت غطيطه، وسمعت هائعة أخرى، ففزع فوثب فصاح: يا عباد بن بشر! قال: لبيك! قال: انظر

---

(١) عباد بن بشر : هو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زغوراء بن عبد الأشهل، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي، وكان من فضلاء الصحابة . ابن عبد البر : الاستيعاب ، مج٢ ، ص٨٠١ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢ ، ص٦٤ .

(٣) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٣.

ما هذا ؟ فذهب ثم رجع فقال: هذا ضرار بن الخطاب[١] في خيل من المشركين، معه عيينة بن حصن[٢] في خيل غطفان عند جبل بني عبيد، والمسلمون يرامونهم بالحجارة والنبل، فعاد رسول الله ﷺ فلبس درعه وركب فرسه، ثم خرج معه أصحابه إلى تلك الثغرة، فلم يأتنا حتى كان السحر، فرجع وهو يقول: رجعوا مفلولين، قد كثرت فيهم الجراح، ثم صلى بأصحابه الصبح وجلس »[٣].

ومن هذه الرواية يتبين أن الصحابي عباد بن بشر كان من أكثر الصحابة حراسة له وقربًا منه في هذه الغزوة، إذ ما كان رسول الله ﷺ يسمع صوتًا أثناء وجوده في قبته، إلا وكان ينادي على عباد؛ ليستوضح منه الأمر، في الوقت الذي كان يسارع فيه عباد إلى تلبية نداء رسول الله ﷺ ، والمسارعة إليه .

ولا ريب أن الحراسة في هذا الموطن ضرورية، فلا يستبعد أن يتسلل بعض الأعداء الذين كانوا يحيطون بالمسلمين من كل جوانب الخندق، ويحاولوا الوصول إلى قبة القيادة خفية، لا سيما وقد حاولوا فعل ذلك أكثر من مرة، ورموا قبة رسول الله ﷺ بالنبل، فلو لم تكن الحراسة موجودة، ربما أصابت تلك السهام رسول الله ﷺ، لذا كانت الحراسة هنا حتمية في هذا الجو المليء بمحاولات التسلل المتكررة، والهجوم بالنبل تجاه قبة القيادة[٤] .

---

(١) ضرار بن الخطاب : هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير القرشي الفهري، كان من فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم ، وهو أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق ، أسلم يوم فتح مكة ، وشهد مع أبي عبيدة فتوح الشام . ابن الأثير: أسد الغابة ، جـ٣ ، ص٥٣ ، ٥٤ .

(٢) عيينة بن حصن : هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، يكنى أبا مالك، أسلم بعد الفتح ، وقيل: قبل الفتح ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، وكان من الأعراب الجفاة . ابن عبدالبر : الاستيعاب، مج٣ ، ص١٢٤٩ – ١٢٥١ .

(٣) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٦ ، ٤٦٧ .

(٤) د/ إبراهيم علي محمد أحمد : الاستخبارات في دولة المدينة المنورة ، ص١٥٨.

(٧) حراسة النبي ﷺ في الحديبية :

خرج الرسول ﷺ من المدينة لأداء العمرة، ولكن قريشًا اعترضته، وأرسلت إليه سفراءها، وكان منهم عروة بن مسعود[١] الذي أقبل إليه، وجعل يكلمه قائلاً : أي محمد، أرأيت إن استأصلت قومك! هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فإني لأرى وجوهًا، وأرى أشوابًا من الناس خليقًا أن يفروا عنك[٢].

وجعل عروة يكلم النبي ﷺ ، فكلما كلمه أخذ بلحيته[٣]، والمغيرة ابن شعبة[٤] قائم على رأس رسول الله ﷺ ، ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة يده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال : أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك، فيقول عروة : ويحك، ما أفظك! وما

---

(١) عروة بن مسعود : هو عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد ابن عوف الثقفي ، لما انصرف الرسول ﷺ من الطائف اتبع أثره حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم ، ثم خرج إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام ، فرموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . ابن عبدالبر: الاستيعاب ، مج٣ ، ص١٠٦٦ .

(٢) ابن شهاب الزهري : المغازي النبوية ، تحقيق : د/ سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ، ص٥٣ .

(٣) كانت من عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه، لا سيما عند الملاطفة، وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير، وكان النبي ﷺ يغض لعروة؛ استمالة له وتأليفًا، والمغيرة يمنعه؛ إجلالاً للنبي ﷺ وتعظيمًا. القسطلاني : المواهب اللدنية ، ج١، ص٤٩٤ .

(٤) المغيرة بن شعبة : هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتق بن مالك، يكنى أبا عبد الله، وقيل : أبا عيسى، شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ ، وكان يلزمه في مقامه وأسفاره، ولى لعمر البصرة ثم الكوفة، ومات عمر وهو عليها، ثم ولى الكوفة لمعاوية، ومات بها، وهو أميرها في شعبان سنة ٥٠ هـ. ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر، ص١٠٨ .

أغلظك! فتبسم النبي ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك[1] المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر، وهل غسلت سوأتك إلا بالأمس![2] .

وقد أراد عروة بمقولته هذه أن يشير إلى ما أقدم عليه المغيرة، حيث كان قد صحب قومًا في الجاهلية، فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء، فأسلم، فقال له رسول الله ﷺ : « أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء »[3] .

وبذلك يتضح أن المغيرة بن شعبة كان بمثابة الحارس المقنع الذي وقف على رأس رسول الله ﷺ أثناء حديث عروة بن مسعود معه؛ وقد نص ابن كثير على أنه « كان بمنزلة السلحدار[4] بين يدي رسول الله ﷺ ، كما كان رافعًا السيف في يده وهو واقف على رأس رسول الله ﷺ في الخيمة يوم الحديبية »[1] .

---

(١) وقع الخبر أن عروة عم المغيرة، والأصح أنه عم أبيه، فهو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر ابن مسعود، وعروة وأبوعامر أخوان . انظر ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ٢، ص١٦٥ .

(٢) ابن إسحاق : السيرة النبوية، جـ٢، ص٤٥٨ ، ٤٥٩، ابن أبي شيبة : كتاب المغازي، تحقيق : د/ عبد العزيز بن إبراهيم العمري ، دار إشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م ، ص٢٨٧ ، ٢٨٨ . الذهبي : تاريخ الإسلام (المغازي) ، جـ١، ص٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٣) عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، جـ٥ ، ص ٣٣٦. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ، ص٦٢٧.

(٤) السلحدار : لفظ فارسي ، معناه : صانع الأسلحة ، دخل العربية في العصر الإسلامي المتأخر لينصرف على المملوك المكلف بحمل آلات الحرب الخاصة بالملك أو السلطان أثناء

وعلى أية حال، فيبدو أن هذه الحراسة قد تغيرت مع قدوم سهيل بن عمرو[٢] سفيرًا من قبل قريش، إذ تقول أم عمارة : « إني لأنظر إلى رسول الله ﷺ جالسًا يومئذٍ متربعًا، وإن عباد بن بشر وسلمة بن أسلم بن حريش[٣] مقنعان بالحديد قائمان على رأس النبي ﷺ إذ رفع سهيل بن عمرو صوته، قالا: اخفض من صوتك عند رسول الله، وسهيل بارك على ركبتيه ... »[٤].

ويتضح من هذه الرواية أن عباد بن بشر وسلمة بن أسلم قاما بنفس المهمة التي قام بها المغيرة بن شعبة من قبل، حيث وقفا على رأس رسول الله ﷺ في كامل عدتهما، بل ومارسا مهمتهما في منع تطاول سهيل ابن عمرو على رسول الله ﷺ برفع صوته عليه.

(٨) حراسة النبي ﷺ عند زواجه من صفية بنت حيي :

في السنة السابعة من الهجرة خرج الرسول ﷺ في غزوة خيبر، ونجح في فتح العديد من الحصون، وكان من ضمن السبايا صفية بنت حيي بن أخطب،

القتال . مصطفى عبدالكريم الخطيب : معجم المصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م ، ص٢٥٦ .

(١) السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص٦٦٤ ، ٦٦٥.

(٢) سهيل بن عمرو: هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك، يكنى أبا يزيد، فاصل القضية يوم الحديبية مع رسول الله ﷺ ، والد أبي جندل بن سهيل، وقد توفي بالشام في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ . أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، جـ٣ ، ص١٣٢٤.

(٣) سلمة بن أسلم بن حريش : هو سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة الأوسي الحارثي ، يكنى أبا سعد ، شهد بدر والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، قُتل يوم الجسر سنة ١٤هـ . ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ٢ ، ص٢٧٠ .

(٤) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٦٠٥ ، ٦٠٦.

وكانت عروسًا بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، فأخذها دحية بن خليفة[1]، فجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير؟! ما تصلح إلا لك، فقال ﷺ ادعوه بها، فجاء بها فلما نظر إليها النبي ﷺ ، قال : خذ جارية من السبي غيرها، ثم إن النبي ﷺ أعتقها وتزوجها[2]، وجعل عتقها صداقها[3].

ولما أعرس رسول الله ﷺ بصفية بخيبر أو ببعض الطريق، بات بها في قبة له، وجاء أبو أيوب الأنصاري[4] متوشحًا سيفه، يحرس رسول الله ﷺ ، ويطيف بالقبة، حتى أصبح رسول الله ﷺ ، فلما رأى مكانه، قال : مالك يا أبا أيوب؟ قال : يارسول الله، خفت عليك من هذه المرأة، وكانت إمرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها، وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتها عليك، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : «

(١) دحية بن خليفة : هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس بن الخزرج الكلبي ، أسلم ولم يشهد بدرًا ، وشهد المشاهد بعدها ، كان جبريل يأتي في صورته ، وبقي إلى خلافة معاوية . ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر ، ص١٠٠ .

(٢) البخاري : الجامع الصحيح ، جـ١(كتاب الصلاة ، باب ما يُذكر في الفخذ)، ص١٣٩ ، ١٤٠، رقم (٣٧١) . أحمد بن حنبل: المسند، جـ١٩، ص٥٠ – ٥٢، رقم (١١٩٩٢) .

(٣) الطبراني : المعجم الكبير، جـ٢٤ ، ص٦٨ ، ٦٩ .

(٤) أبو أيوب الأنصاري : هو أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، شهد العقبة مع السبعين ، نزل النبي عليه حين رحل من قباء إلى المدينة ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها ، توفي في العام الذي غزا فيه يزيد بن معاوية القسطنطينية في خلافة أبيه معاوية ، ودفن بالقرب من حصن القسطنطينية . ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر ، ص٩٣.

اللهم أحفظ أبا أيوب كما بات يحفظني »[١]، وفي رواية أخرى أنه قال: « رحمك الله يا أبا أيوب » مرتين[٢]، وهناك رواية ثالثة تذكر أن رسول الله ﷺ ضحك، وقال له معروفًا[٣].

وهنا لا يخفى الحس الأمني الرفيع لأبي أيوب الأنصاري في قيامه بهذه الحراسة، فقد برر سبب خوفه على رسول الله ﷺ وحراسته له بمبررات قوية ومنطقية، فكل دواعي الانتقام من رسول الله ﷺ متوفرة لدى السيدة صفية – رضي الله عنها – ، وهي قتل أبيها وزوجها وقومها، أضف إلى ذلك كونها حديثة عهد بكفر، غير أن صدقها في التمسك بالإسلام عصمها من الإقدام على شئ كهذا [٤].

أما عن أبي أيوب فإنه عندما وجد أن كل هذه الدوافع موجودة، سارع إلى القيام بواجبه نحو النبي ﷺ ، فقام بحراسته على أكمل وجه، إذ ظل متيقظًا طوال الليل، متوشحًا سيفه على أتم استعداد، يطوف بالقبة التي بها النبي وصفية دون كلل أو وهن، حتى اطمأن على النبي ﷺ بنفسه صباحًا.

(١) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ٢، ص٤٨٠ ، ٤٨١. ابن هشام: السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص ٢١٩. السهيلي : الروض الأنف ، جـ٤ ،ص٤٥ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبير ، جـ٢ ، ص١١٠ . ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٣ ، ص٢٩٦.

(٣) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٧٠٨ .

(٤) د/ إبراهيم علي محمد أحمد : الاستخبارات في دولة المدينة المنورة ، ص١٥٩ .

(٩) حراسة النبي ﷺ في غزوة تبوك[١] :

خرج الرسول ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة إلى تبوك لغزو الروم، وكانت هذه الغزوة آخر غزوة غزاها النبي ﷺ بنفسه[٢].

أما عن حراسته ﷺ في هذه الغزوة، فقد روي عن عبد الله بن عمر أنه قال : « كُنّا مَعَ رسول الله ﷺ بتبوك، فَقَامَ يُصَلّي مِنْ اللّيْلِ، وَكَانَ يُكْثِرُ التّهَجّدَ مِنْ اللّيْلِ، وَلَا يَقُومُ إلّا اسْتَاكَ، وَكَانَ إذَا قَامَ يُصَلّي صَلّى بِفِنَاءِ خَيْمَتِهِ، فَيَقُومُ نَاسٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ فَيَحْرُسُونَهُ »[٣].

لا شك أن هذه الرواية تؤكد أن حراسة الصحابة للنبي ﷺ في هذه الغزوة كانت لصيقة ودائمة، فالرواية تذكر أن الصحابة كانوا يحرسونه أثناء صلاته ﷺ ، وفي داخل خيمته، ومن ثمَّ فإن حراسته خارج خيمته كانت أولى؛ لشدة الخطورة، وخوف القتل أو الاغتيال .

(١٠) حراسة النبي ﷺ في مواطن أخرى :

لم تكن المواطن السابقة فقط هي التي حرس فيها الصحابة النبي ﷺ ، بل كانت هناك مواطن أخرى، منها ما حدثت به السيدة عائشة فقالت : « أرق النبي ﷺ ذات ليلة[٤] فقال : ليت رجلًا من أصحابي يحرسني الليلة، إذ سمعت

---

(١) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام (ياقوت الحموي : معم البلدان ، جـ٢ ، ص١٤) ، وهي حاليًا مدينة من مدن شمال الحجاز لها إمارة تعرف بإمارة تبوك ، وهي تبعد عن المدينة ٧٧٨ كم شمالًا . انظر عاتق بن غيث البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ، ص٥٩.

(٢) ابن عبد البر : الدرر ، ص٢٥٣ .

(٣) الواقدي : المغازي ، جـ٣ ، ص١٠٢١ .

(٤) هناك من ذكر أن هذه الرواية حدثت في غزوة الخندق . انظر الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٣ . المقريزي : إمتاع الأسماع ، جـ١ ، ص٢٣٤ .

صوت السلاح، فقال : من هذا ؟ فقال : سعد بن مالك[١]، قال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لأحرسك يا رسول الله، قالت عائشة : فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه »[٢] .

وكذلك ما ذكره أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠ هـ) عند ترجمته للصحابي الأدرع الأسلمي حيث ذكر أنه كان يحرس النبي ﷺ ، وروي عنه أنه قال : جئت ليلة أحرس النبي ﷺ ، فإذا رجل قراءته عالية، فخرج النبي ﷺ ، فقلت : يا رسول الله، هذا مراء، فقال : هذا عبد الله ذو البجادين[٣].

وعند الترجمة للصحابي عبد الله بن رواحة[٤] ذكر أنه كان حارس النبي ﷺ وشاعره، ... وأنه أرجز بين يدي النبي ﷺ حين دخل مكة معتمرًا في عمرة القضاء، متوشحًا سيفه، وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهْ ∴ أَنَا الشَّهِيدُ أَنَّهُ رَسُولِهْ

(١) سعد بن مالك : هو سعد بن أبي وقاص ، وقد سبقت الترجمة له من قبل .

(٢) البخاري : الجامع الصحيح ، جـ٩ (كتاب التمني، باب قوله ﷺ ليت كذا وكذا) ، ص٨٣ رقم (٧٢٣١). أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة، دار العلم للطباعة، السعودية، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ، جـ١ ، ص٧٤٩ . ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة ، جـ١ ، ص٢٩٩ ، ٣٠٠ . ابن الجوزي : الوفا ، جـ١ ، ص٤٠٩ .

(٣) معرفة الصحابة ، جـ١ ، ص٣٥٢ .

(٤) عبدالله بن رواحة : هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس ، يكنى أبا محمد ، شهد العقبة مع السبعين ، وهو أحد النقباء الاثنى عشر، شهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وعمرة القضاء وخيبر ، وقتل بمؤتة . ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر ، ص٩٤ .

قَـدْ أَنْـزَلَ الـرَّحْمَنُ فِـي تَنْزِيلِـهْ ∴ فِـي صُـحُفٍ تُتْلَـى عَلَـى رَسُولِهْ
وَالْيَـوْمَ نَضْـرِبُكُمْ عَلَـى تَأْوِيلِـهْ ∴ كَمَـا ضَـرَبْنَاكُمْ عَلَـى تَنْزِيلِـهْ
ضَـرْبًا يُزِيـل الْهَـامَ عَـنْ مَقِيلِـهْ ∴ وَيُـذْهِلُ الْخَلِيـلَ عَـنْ خَلِيلِـهْ[1]

كما يُذكر أن بشير بن سعد الأنصاري[2] كان إذا قدمت وفود العرب على رسول الله ﷺ قام على رأسه بالسيف؛ يحميه منهم[3] .

وقد روى أنس بن مالك ﷺ أنه قال : « إِنَّ قَيْسَ بْنَ سَعْدٍ[4] كَانَ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ ، بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرَطِ مِنَ الأَمِيرِ»[5].

فإذا كان قيس بن سعد بمثابة صاحب الشرطة من الأمير بالنسبة للنبي ﷺ فلابد أنه كان من ضمن مهامه حراسة النبي خاصة إذا وجدنا أن ابن بلبان

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، جـ٣ ، ص١٦٣٨ – ١٦٤٠.

(٢) بشير بن سعد الأنصاري : هو بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي ، يكنى أبا النعمان ، شهد العقبة الثانية وبدرًا وأحدًا والمشاهد كلها ، يقال إنه أول من بايع أبابكر الصديق من الأنصار يوم السقيفة ، قتل يوم عين التمر بعد انصرافه من اليمامة سنة ١٢ هـ . ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ١ ، ص٢٣١ .

(٣) المقريزي : إمتاع الأسماع ، جـ٧ ، ص١٨٧ .

(٤) قيس بن سعد : هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي، كان أحد فضلاء الصحابة وأسخيائهم ودهاتهم، أعطاه الرسول الراية يوم فتح مكة بعد نزعها من أبيه ، صحب علي بن أبي طالب ، وشهد معه الجمل وصفين والنهروان ، توفي بالمدينة سنة ٦٠ هـ ، وقيل سنة ٥٩ هـ. انظر ابن عبدالبر: الاستيعاب، مج٣ ، ص١٢٨٩ ، ١٢٩٠ .

(٥) البخاري : الجامع الصحيح ، جـ٤ (كتاب الأحكام ، باب الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه دون الإمام الذي فوقه) ، ص٣٣٢ ، رقم (٧١٥٥). وانظر أيضًا : ابن حجر: فتح الباري ، جـ١٣ ، ص١٤٤ ، ١٤٥ . المقريزي : إمتاع الأسماع ، جـ١٠ ، ص٤.

الفارسي ذكر هذا الحديث في باب « ذكر احتراز المصطفى ﷺ من المشركين في مجلسه إذا دخلوا عليه »[1] .

(١) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، جـ١٠ ، ص٣٦٦ .

المبحث الثالث

حراسة المدينة

قبل الحديث عن الحراسة البشرية للمدينة لابد من الإشارة إلى حماية المولى – سبحانه وتعالى – وحراسته لها، وعلى سبيل المثال حدث في غزوة بني لحيان سنة ٦هـ أن قالت الأنصار: إن المدينة خالية منا، وقد بعدنا عنها، ولا نأمن من عدونا يخالفنا إليها، فأخبرهم رسول الله ﷺ أن على كل نقب من أنقابها ملكًا يحميها بأمر الله ﷻ [١] .

أما عن حراسة الصحابة للمدينة، فيمكن تفصيله فيما يأتي :

(١) حراسة المدينة في غزوة أحد :

عندما علم النبي ﷺ بخبر تحرك قريش إلى المدينة كان لابد من اتخاذ بعض الإجراءات والاحتياطات الأمنية، فعلاوة على ما ذكر آنفًا من قيام بعض الصحابة بحراسة رسول الله ﷺ تؤكد المصادر أنهم قاموا بحراسة المدينة أيضًا[٢].

ولا شك أن هذا الأمر كان في غاية الأهمية، فمن المعروف أن قريشًا كانت تريد الثأر لما حدث لقتلاهم في بدر، ومن ثمَّ كان من الممكن أن تسلك جميع السبل والوسائل لتحقيق هدفها، وعلى هذا كان على النبي ﷺ والمسلمين أن يتخذوا كل ما من شأنه أن يحبط محاولات قريش هذه .

---

(١) ابن حزم : جوامع السيرة ، ص١٢٠.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبير ، جـ٢ ، ص٣٤ . البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص٣٨٤ . ابن الجوزي : الوفا ، جـ٢ ، ص٣٩٩ . وانظر أيضًا د/ عبد الله محمد الرشيد : القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص٣٣٠ ، ٤٧٢ .

وهناك رواية ذكرها عبد الله بن عمر، قال فيها : « كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ وَأَنَا ابْنُ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ أَخْرُجْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ وَأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا رَآنِي اسْتَصْغَرَنِي فَرَدَّنِي، وَخَلَّفَنِي فِي حَرَسِ الْمَدِينَةِ فِي نَفَرٍ رَدَّهُمْ »[1].

هذه الرواية التي ذكر فيها عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ ردّه مع نفر ممن ردّهم، وجعلهم في حراسة المدينة، تشير إلى أن النبي ﷺ أراد أن يدرب هؤلاء الغلمان – بعد أن رأى رغبتهم القوية في هذه الغزوة – على المشاركة في بعض الأعمال بعيدًا عن ميدان القتال، حتى إذا ما اكتسبوا الخبرة اللازمة ألحقهم بالجيش .

(٢) حراسة المدينة في غزوة الخندق :

أشار سلمان الفارسي على النبي ﷺ بحفر الخندق في المنطقة الشمالية من المدينة ليربط بين طرفي : حرَّة واقم، وحرَّة الوبرة[2]، وهي المنطقة الوحيدة المكشوفة أمام الأعداء، أما الجهات الأخرى، فكانت كالحصن تتشابك فيها الأبنية وأشجار النخيل، وتحيطها الحرَّات التي يصعب على الإبل والمشاة السير فيها، ولم يعترض أحد على خطة الدفاع عن المدينة، فقد كانت جموع الأحزاب كبيرة، وكانت دروس أحد ماثلة قريبة، والخندق يمثل حاجزًا يمنع الالتحام المباشر بين الغزاة

(١) ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ٢، ص١٣.

(٢) الحَرَّة : أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار، ويقال لحرة واقم : الحرة الشرقية ، ولحرة الوبرة : الحرة الغربية . محمد محمد حسن شراب : المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م ، ص٩٨ – ١٠٠ .

والمسلمين، ويمنع اقتحام المدينة، ويوفر للمسلمين موقعًا دفاعيًا جديدًا، فيكبدون الغزاة الخسائر برشقهم بالسهام من وراء الخندق[١].

تم حفر الخندق، واتخذت قوات المسلمين مواقعها الدفاعية خلفه باتجاه المدينة، مستفيدة من حرَّة واقم؛ لحماية ميمنتها، وجبل سلع وبساتين النخيل، لحماية مؤخرتها، وحرَّة الوبرة، لحماية ميسرتها، ووزع الرسول ﷺ الحراسة على مداخل المدينة وعند طرفي الخندق، وفي مكان لم ينته العمل فيه بالشكل الكامل، وعين دوريات المراقبة، وتم تأمين حماية المؤخرة والنساء والصبيان[٢]، بأن أمر الرسول ﷺ بالنساء والذراري، فجعلوا في أطام[٣] المدينة[٤]، حتى يُذكر أن السيدة عائشة – رضي الله عنها – كانت في حصن بني حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة، وكانت أم سعد بن معاذ معها في ذلك الحصن[٥] .

وعلى أية حال، فقد أخذ المسلمون يتناوبون حراسة الخندق[٦]، واستمرت الحراسة على كل شبر من الخندق ليلاً ونهارًا، ثم إنه ﷺ كان يقوم بمهمة الإشراف العام على الجند بتشجيعهم ، ورفع معنوياتهم[٧] .

---

(١) د/ أكرم ضياء العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص٤٢٠.

(٢) أحمد راتب عرموش : قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م ، ص٧٧ .

(٣) أطام: جمع أُطُم ، وهو حصن مبني بحجارة . ابن منظور: لسان العرب ، جـ٢ ، ص٩٣ ، مادة (أطم) .

(٤) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، جـ٣ ، ص٢٧١ .

(٥) البيهقي : دلائل النبوة ، جـ٣ ، ص٤٤٠ ، ٤٤١ . الذهبي : تاريخ الإسلام (المغازي) ، ص٢٩١ .

(٦) الواقدي: المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٥ . البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص٤٢٨ .

(٧) د/ علي الصلابي : السيرة النبوية ، ص٥٩٨ .

وفي هذا الصدد يُذكر أن أسيد بن حضير كان يحرس الخندق في أصحابه، فانتهوا إلى مكان من الخندق تطفره[١] الخيل، فإذا طليعة من المشركين – مائة فارس أو نحوها – عليهم عمرو بن العاص، يريدون أن يغيروا على المسلمين، فقام أسيد بن حضير عليها بأصحابه فرموهم بالحجارة والنبل حتى أُجهضوا عنها، وولوا مدبرين[٢].

ويبدو أن دور الحراس لم يقتصر في هذه الغزوة على الحراسة إذ يذكر أن سلمان الفارسي قال لأسيد بن حضير : إن هذا مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف تطفره خيلهم، وكان الناس قد عجلوا في حفره، فباتوا يوسعونه حتى صار كبقية الخندق، وأمنوا أن تطفره خيلهم[٣].

مثل هذه الروايات تؤكد أن مهمة الحراس لم تكن تقف عند حد المراقبة فقط، بل كانت تتعداها إلى فعل كل ما يمكن فعله من حماية المدينة، ومنع الأحزاب من الاقتراب منها .

وفي أثناء غزوة الخندق، بلغ الرسول ﷺ نقض بني قريظة للعهد، فبعث سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وخوات بن جبير[٤]، وقال : انطلقوا إلى القوم حتى تنظروا ما بلغنا، فإن كان حقًا فالحنوا لي لحنًا أعرفه، ولا تفتّوا في أعضاد المسلمين، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم

(١) تطفره : الطفر وثبة في ارتفاع ، كما يطفر الإنسان حائطًا ، أي يثبه . ابن منظور : لسان العرب ، جـ٣٠ ، ص٢٦٧٩ ، مادة (طفر) .

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٤ ، ٤٦٥.

(٣) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٥.

(٤) زاد البيهقي على هؤلاء الثلاثة الذين أرسلهم الرسول ﷺ عبد الله بن رواحة . انظر: دلائل النبوة ، جـ٣ ، ص٤٢٩ .

على أخبث ما بلغهم عنهم، ولما أقبلوا إلى الرسول ﷺ قالوا : عضل والقارة – أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع– فقال ﷺ : الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين[١] .

في مثل هذه الظروف، كان لا بد للنبي ﷺ أن يتخذ كافة التدابير لحماية المدينة، خاصة أن العدو هذه المرة كان من داخل المدينة، ومن ثمَّ أرسل ﷺ سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير[٢]، خاصة ناحية الجنوب حيث تقع منازل بني قريظة[٣]، وذلك لإشعارهم بيقظتهم ووجودهم[٤].

تقول أم سلمة – رضي الله عنها – : «... وأن قريظة لا نأمنها على الذراري، والمدينة تُحرس حتى الصّبَاحِ، يُسْمَعُ تَكْبِيرُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا حتى يصبحوا؛ خَوْفًا حَتّى رَدّهُمْ اللهُ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا »، كما يَقُولُ مُحَمّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ: « كَانَ لَيْلُنَا بِالْخَنْدَقِ نَهَارًا حَتّى فَرّجَهُ اللهُ »[٥].

(٣) حراسة المدينة في غزوة ذي قرد (الغابة) :

في ربيع الأول سنة ست من الهجرة، أغار عيينة بن حصن في بني عبد الله بن غطفان على لقاح رسول الله ﷺ ، وفيها رجل من غفار وإمرأة، فقتلوا الغفاري، وحملوا المرأة واللقاح[٦]، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ فخرج، واستخلف

(١) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٣٩٨ ، ٣٩٩.
(٢) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢، ص٦٣ ، ٦٤. ابن الجوزي: المنتظم ، جـ٣ ، ص٢٣٠.
(٣) محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى ، جـ٣ ، ص١٤٧.
(٤) د/ أكرم ضياء العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص٤٢٨ .
(٥) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٧ ، ٤٦٨ .
(٦) ابن حزم : جوامع السيرة ، ص١٢٠.

على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وخلَّف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة[١].

وقد أقام سعد بن عبادة بمن معه يحرسون المدينة خمس ليال حتى رجع رسول الله ﷺ ليلة الاثنين، وفي ذلك الوقت أمد سعد المسلمين بأحمال تمر، وبعشر جزائر بذى قرد، وبعث بها مع ابنه قيس بن سعد، فقال رسول الله ﷺ : « يا قيس، بعثك أبوك فارسًا، وقوَّى المجاهدين، وحرس المدينة من العدو، اللهم ارحم سعدًا، وآل سعد، ثم قال : نعم المرء سعد بن عبادة » [٢].

وبذلك يتضح أن النبي ﷺ أمر بحراسة المدينة في ثلاث غزوات، هي : أحد، والخندق، وذي قرد (الغابة)، وهي المواطن التي خاف فيها من هجوم الأعداء على المدينة، فالأولى – أحد – كانت قريش قد عزمت فيها على غزو المدينة، والأخذ بثأر قتلى بدر، والثانية – الخندق – كان الخندق هو الحاجز والفاصل بين الأحزاب وبين المدينة، ولا يخفى الخطر الذي تعرضت له المدينة في هذه الغزوة، والثالثة – ذي قرد – كان هجوم عيينة ابن حصن على المدينة، واستياقه للقاح رسول الله ﷺ ، ومن ثمَّ كانت هناك احتمالية وجود خطة تتضمن الهجوم على المدينة بعد خروج النبي وأصحابه لتعقب عيينة ومن معه، وانتهاز هذه الفرصة لتنفيذ الهجوم، فكان وضع النبي ﷺ الحراسة في المدينة بعد خروجه منها؛ حماية لها من أي هجوم محتمل .

(١) ابن الجوزي : الوفا ، جـ٢ ، ص٤١٥.

(٢) المقريزي: إمتاع الأسماع ، جـ١ ، ص٢٦٤.

المبحث الرابع

حراسة المعسكر الإسلامي

عند خروج المسلمين للفتوحات والغزو لابد من توفير كافة السبل والوسائل لضمان حمايتهم، ففي أثناء توقف المقاتلة للراحة أو المبيت لابد للأمير أن يختار موطنًا تتوفر فيه نواحي الأمن والمياه والمراعي، وعليه الاستفادة من العوارض الطبيعية كالتلال والجبال؛ لأنها تشكل موانع تمنع هجمات العدو المباغتة[١].

وهو ما أشار إليه الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) بقوله : « من واجبات أمير الجيش نحو جنده، أَنْ يَتَخَيَّرَ لَهُمْ مَوْضِعَ نُزُولِهِمْ لِمُحَارَبَةِ عَدُوِّهِمْ، وَذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا أَوْطَأَ الْأَرْضِ مَكَانًا، وَأَكْثَرَ مَرْعًى وَمَاءً، وَأَحْرَسَهَا أَكْنَافًا وَأَطْرَافًا؛ لِيَكُونَ أَعْوَنَ لَهُمْ عَلَى الْمُنَازَلَةِ، وَأَقْوَى لَهُمْ عَلَى الْمُرَابَطَةِ »[٢].

بالإضافة إلى ذلك، فعلى أمير الجيش أن يبث الحرس حول المعسكر لدواعي الأمن والحراسة[٣]؛ وذلك حتى لا ينتهز العدو فرصة فيبغتهم على حين غفلة منهم[٤].

وقد أشار النويري (٧٣٣هـ) إلى مثل هذه الأمور بقوله تحت عنوان : ما يلزم أمير الجيش في سياستهم : « أحدها: حراستهم من غرّة يظفر بها

---

(١) د/ حافظ أحمد عجاج الكرمي : الإدارة في عصر الرسول ﷺ دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى ، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م ، ص٢٠٨ .

(٢) الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، ص٥٢.

(٣) د/ حافظ أحمد عجاج : الإدارة في عصر الرسول ﷺ ، ص٢٠٨.

(٤) د/ عبد الله الرشيد : القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ، ص٥٦ .

العدوّ منهم، وذلك بأن يتتبّع المكامن فيحفظها عليهم ويحوط سوادهم بحرس يأمنون به على نفوسهم ورحالهم؛ ليسكنوا في وقت الدّعة، ويأمنوا ما وراءهم في وقت المحاربة »[1].

أما عن حراسة المعسكر الإسلامي في العهد النبوي، فتفصيله كالآتي :

(١) حراسة المعسكر الإسلامي في غزوة أحد :

تذكر الروايات أن النبي ﷺ عندما خرج في غزوة أحد، وبات بالشيخين[2]، استعمل على الحرس في تلك الليلة محمد بن مسلمة ﷺ في خمسين رجلاً يطيفون بالمعسكر، وعندما رأى المشركون رسول الله ﷺ في منزله هذا استعملوا على حرسهم عكرمة بن أبي جهل[3] في خيل من المشركين[4] .

ولا شك أن قيام كلٍ من المسلمين والمشركين بوضع الحرس إنما يدل على تخوف كل منهما من الآخر، ورغبة كل فريق في تأمين معسكره؛ حتى لا يستغل أحد الفريقين الفرصة، فينقض على الآخر على حين غفلة منه .

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: د/ علي بوملحم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، جـ٦ ، ص١٣٤ ، ١٣٥.

(٢) الشيخين : موضع بالمدينة ، وقيل : هما أُطُمان سميا به ؛ لأن شيخًا وشيخة كانا يتحدثان هناك . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٣٨٠ .

(٣) عكرمة بن أبي جهل : هو عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان شديد العداوة لرسول في الجاهلية ، أسلم بعد فتح مكة بقليل وحسن إسلامه ، وله في قتال الردة أثر عظيم ، مات وليس له عقب . انظر ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ٤ ، ص ٦٧ – ٧٠ .

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢ ، ص٣٦ . البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص ٣٨. ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ٢ ، ص١٥. ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٣ ، ص ١٦٣. القسطلاني : المواهب اللدنية ، جـ١ ، ص٣٩٤.

وهناك رواية ذكرت : « أن النَّبِيُّ ﷺ عندما خرج إِلَى أُحُدٍ قَالَ: مَنْ يَنْتَدِبُ إِلَى هَذِهِ الثَّغْرَةِ ؟ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ يُقَال لَهُ : ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ أَبُو السَّبُعِ[1]، فَقَالَ : أَنَا، فَقَالَ: وَمَنْ أَنْتَ ؟ ، قَالَ : أَنَا ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ أَبُو السَّبُعِ، فَقَالَ: اجْلِسْ، قَالَهَا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُنْ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ ذَكْوَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ يَطَأُ خَضِرَةَ الْجَنَّةِ بِقَدَمَيْهِ غَدًا فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا، فَانْطَلَقَ ذَكْوَانُ إِلَى أَهْلِهِ يُوَدِّعُهُمْ، فَأَخَذَ نِسَاؤُهُ وَبَنَاتُهُ يَقُلْنَ لَهُ: يَا أَبَا السَّبُعِ، تَدَعُنَا وَتَذْهَبُ ؟ فَاسْتَلَّ ثَوْبَهُ حَتَّى إِذَا جَاوَزَهُنَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ، وَقَالَ: مَوْعِدُكُنَّ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قُتِلَ »[2].

وقد ذكر الواقدي هذه الرواية، غير أنه ذكر أنها حدثت عقب غزوة بدر، حيث قال : « وَكَانَ انْهِزَامُ الْقَوْمِ [في بدر] وَتَوَلِّيهِمْ حِينَ زَالَتْ الشّمْسُ، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَدْرٍ، فَصَلّى الْعَصْرَ بِبَدْرٍ ثُمّ رَاحَ فَمَرّ بِالْأُثَيْلِ [وَادٍ طُولُهُ ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَدْرٍ مِيلَانِ، فَكَأَنّهُ بَاتَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ بَدْرٍ] قَبْلَ غُرُوبِ الشّمْسِ فَنَزَلَ بِهِ، وَبَاتَ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ حِرَاحٌ، وَلَيْسَتْ بِالْكَثِيرَةِ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: مَنْ رَجُلٌ اللّيْلَةَ يَحْفَظُنَا؟ فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : ذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، قَالَ: اجْلِسْ، ثُمّ عَادَ النّبِيّ ﷺ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ قَيْسٍ، قَالَ النّبِيّ ﷺ: اجْلِسْ، ثُمّ مَكَثَ سَاعَةً، ثُمّ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَبُو سَبُعٍ، ثُمّ مَكَثَ سَاعَةً، وَقَالَ: قُومُوا ثَلَاثَتُكُمْ، فَقَامَ ذَكْوَانُ بْنُ عبد

---

(١) ذكوان بن عبد قيس : هو ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق ، يكنى أبا السبع ، أسلم هو وأسعد بن زرارة ، وكانا قد خرجا إلى مكة يتنافران فسمعا بالنبي ﷺ فأتياه فأسلما ورجعا إلى المدينة ، شهد العقبتين ، وكان قد لحق برسول الله بمكة فأقام معه حتى هاجر إلى المدينة ؛ فكان مهاجرًا أنصاريًا ، شهد بدراً وأحداً ، وقتل يوم أحد شهيداً ، وليس له عقب . ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٣ ، ص٥٤٨ .

(٢) أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، جـ١ ، ص١٠٢٨.

قيس وَحْدَهُ، فَقَالَ النّبِيّ ﷺ : فَأَيْنَ صَاحِبَاك؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا الّذِي أَجَبْتُك اللّيْلَةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَحَفِظَك اللهُ! فَكَانَ يَحْرُسُ الْمُسْلِمِينَ تِلْكَ اللّيْلَةَ، حَتّى كَانَ آخِرَ اللّيْلِ، فَارْتَحَلَ»[1].

ولما كان يوم أحد، قام الرسول ﷺ بعمل الاستعدادات اللازمة للمعركة، فجعل جبل أحد خلف ظهره، واستقبل المدينة، وجعل على جبل عينين[2] خمسين من الرماة، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير[3]، وقال : « انضح عنا الخيل بالنبل، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا، فأثبت مكانك، لا نؤتين من قبلك »[4].

ولا شك أن هذه التعليمات التي وجهها النبي ﷺ إلى عبد الله بن جبير تشير إلى أن هؤلاء الرماة كانوا بمثابة الحرس لمعسكر المسلمين، وقد أشار الطبري (ت ٣١٠ هـ) إلى ذلك الأمر صراحة، حيث قال : « وإن رسول الله ﷺ بَعَثَ نَاسًا مِنَ النَّاسِ، فَكَانُوا مِنْ وَرَائِهِمْ، فقال رسول الله ﷺ : كونوا هاهنا، فَرُدُّوا وَجْهَ مَنْ فَرَّ مِنَّا، وَكُونُوا حُرَّاسًا لَنَا مِنْ قِبَلِ ظُهُورِنَا »[5].

---

(١) المغازي ، جـ١ ، ص١١٢ ، ١١٣ .

(٢) جبل عينين: يعرف أيضًا بجبل الرماة ، يقع شمال المدينة على حافة وادي قناة الجنوبية . عاتق بن غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص٢١٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢ ، ص٣٧ . ابن عبد البر : الدرر، ص١٥٥ . وعبدالله بن جبير: هو عبدالله بن جبير الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا وأحدًا ، وهو أخو خوات بن جبير، أمَّره النبي على الرماة يوم أحد ، فاستشهد فيه . أبونعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، جـ٣ ، ص١٦٠٨ .

(٤) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ١ ، ص٣٣٤ . ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص١٨.

(٥) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ، ص٥٠٨.

وبذلك يتضح أن النبي ﷺ لم يهمل وضع الحراسة في غزوة أحد سواء قبل المعركة أو أثناءها؛ وذلك رغبة منه ﷺ في الحفاظ على جيشه من هجمات المشركين الذين كانت لديهم رغبة جامحة في الثأر لقتلاهم في بدر .

(٢) حراسة المسلمين في الحديبية :

عندما وصل النبي ﷺ الحديبية، قرر التريث والانتظار فيها، ونظرًا لحالة التوتر الشديد التي نجمت نتيجة بغي قريش، وتعنتها، وتهديدها المسلمين بمنعهم من دخول الحرم عن طريق الحرب؛ فقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالقيام بأعمال الحراسة؛ لصد أي عدوان قد يقوم به الطائشون من قريش[١]، بحيث كان الرجل من أصحابه يبيت على الحرس يطيف بالعسكر حتى يصبح، وكان ثلاثة من أصحابه يتناوبون الحراسة، وهم : أوس بن خولى، وعباد بن بشر، ومحمد بن مسلمة [٢].

(٣) حراسة المعسكر الإسلامي في غزوة خيبر :

كانت غزوة خيبر في السنة السابعة من الهجرة، وقد امتازت هذه المنطقة التي كان يسكنها اليهود بكثرة حصونها[٣]، التي نجح الرسول ﷺ في فتحها حصنًا حصنًا[٤]، وقد أشار المقريزي إلى أن الحراسة كانت نوبًا بين المسلمين، حتى فتح الله حصن النطاة[٥] . كما ذكر الواقدي أن

(١) محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى ، جـ٥ ، ص١٤٧، ١٤٨.

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٦٠٢ . المقريزي : إمتاع الأسماع ، جـ١ ، ص٢٨٩.

(٣) كانت خيبر تشتمل على سبعة حصون هي : ناعم والقموص والشق والنطاة والسلالم والوطيح والكتيبة . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٠٩ .

(٤) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، تحقيق : د/ أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص٨٢ .

(٥) إمتاع الأسماع ، جـ١ ، ص٣٠٨.

النبي ﷺ كان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل في مقامه بالرجيع[1] سبعة أيام، وأنه في الليلة السادسة من السبع استعمل على الحرس عمر ابن الخطاب ﷺ [2] .

وتذكر الروايات أن النبي ﷺ لما انصرف من خيبر قال لبلال : اكلأ لنا الليل، فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ النبي ولا بلال ولا أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظًا، ففزع رسول وقال : يا بلال؟! فقال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، فاقتادوا رواحلهم شيئًا، ثم توضأ رسول الله ﷺ ، وأمر بلالًا فأقام لهم الصلاة، وصلى لهم الصبح ...[3].

وعلى أية حال، فإن مهمة الحراسة قام بها الحارس الذي أوكلت إليه، ولم يهملها، فطبقًا للرواية التي ذكرها ابن الجوزي، والتي جاء فيها : «... فصلى بلال ما قد رآه، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما تقارب الفجر، استند بلال إلى راحلته فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس »[4]، مما يعني أنه قام بمهمته طوال الليلة، ثم إذا تقارب الفجر أدركه النوم، أي أنه لم ينم ليلاً، وهو الوقت الذي يُخاف فيه من العدو، وتلزم فيه الحراسة .

(١) الرجيع : ماء يُعرف اليوم باسم " الوطية " ، يقع شمال مكة على قرابة ٧٠ كم . عاتق بن غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص١٣٨ .

(٢) المغازي ، جـ٢ ، ص٦٤٧.

(٣) أبو داود : السنن ، (كتاب الصلاة ، باب في من نام عن صلاة أو نسيها) ، ص٨٢ ، رقم (٤٣٥) . وانظر أيضاً الذهبي : تاريخ الإسلام (المغازي) ، ص٤٤٣.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

ولذلك يقول ابن منكلي (ت٧٧٨ هـ) : « وأشد الحراسة من ذلك حراسة الليل؛ لكثرة الغفلة والفترة، وفترات النعاس المعترية، وغشيان الظلمة، ولا سيما في أوقات الربيع من ظلمة تراكم السحاب، وأوقات الأمطار، فأقول : إن الحيلة في ذلك : شدة التيقظ، وقلة الغفلة، والصبر على السهر، وكثرة الحراس، وطوفان الأعساس »[١] .

(٤) حراسة المعسكر الإسلامي في غزوة ذات الرقاع[٢] :

في هذه الغزوة أصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين، فلما انصرف الرسول ﷺ والمسلمون، أتى زوجها، وكان غائبًا، فلما أُخبر الخبر حلف ألا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دمًا، وخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ[٣] .

سار النبي ﷺ والمسلمون معه، وعندما نزل منزلاً قال : مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا اللّيْلَةَ؟ فَقَامَ رَجُلَانِ: عَمّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَعَبّادُ بْنُ بِشْرٍ، فَقَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللهِ، قال: فكونا بفَمِ الشّعْبِ، فلما خرجا قال أَحَدُهُمَا للآخر: أَيّ اللّيْلِ تحب أن أكفيكه، أوله أم آخره؟ قال : بل اكفني أوله، فنام عمار بن ياسر، وقام عباد بن بشر يصلي، وأقبل الرجل يطلب غرة، فلما رأى عباد، عرف أنه ربيئة القوم (حارسهم) فرماه بسهم، فنزعه ووضعه، وثبت قائمًا، ثم رماه بسهم آخر، فنزعه ووضعه، ثم عاد بالثالث،

---

(١) الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق: د/ نبيل محمد عبد العزيز أحمد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م ، ص٣٩٩ .

(٢) هناك من ذكر أن غزوة ذات الرقاع وقعت سنة ٤هـ ، غير أن الأرجح أنها وقعت في سنة ٧ هـ بعد غزوة خيبر . انظر البخاري : الصحيح ، جـ٣ (كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع) ، ص١٢٠ . ابن حجر : فتح الباري ، جـ٧ ، ص٤٨١ .

(٣) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٣٩٠ . الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ، ص٥٥٨ ، ٥٥٩. الكلاعي : الاكتفاء ، مج١ ، جـ٢ ، ص١١٤ .

فنزعه ووضعه، فلما غلب الدم ركع وسجد، ثم قال لصاحبه : أجلس فقد أثبت[١]، فلما رآهما الرجل هرب، وقال عمار عندما رأى صاحبه: أي أخي ما منعك أن توقظني به في أول سهم رمى به ؟ قال : كنت في سورة أقرأها فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، ولولا أني خشيت أن أضيع ثغرًا أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت، ولو أتى على نفسي[٢].

وقد أورد البخاري هذه الرواية في صحيحه مقتضبة، حيث روي عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ كان في غزوة ذات الرقاع، فرمى رجل بسهم، فنزعه الدم، فركع وسجد، ومضى في صلاته[٣].

وعلى أية حال، فهذه الرواية تبين مدى العقلية العسكرية التي تمتع بها النبي ﷺ ، ففي الوقت الذي كان فيه أحد المشركين يسعى للثأر وإراقة دماء المسلمين، كان ﷺ قد وضع الحراسة، وأمنَّ جيشه؛ الأمر الذي منعه من إلحاق ضرر كبير بمعسكر المسلمين .

كما أن هناك أمر آخر ، وهو استراتيجية مكان الحراسة ، إذ إن اختيار النبي ﷺ فم الشعب مكانًا لإقامة الحرس كان اختيارًا في غاية التوفيق؛ لأنه المكان الذي يتوقع مجئ العدو منه لمهاجمة المعسكر[٤].

---

(١) أثبت : يقال أُثبت فلان فهو مثبَت إذا اشتدت به علته، أو أثبتته جراحه فلم يتحرك . ابن منظور : لسان العرب ، جـ٦ ، ص٤٦٨ .

(٢) الواقدي : المغازي، جـ ١، ص٣٩٧ . ابن هشام : السيرة النبوية، جـ٣، ص١٢٢، ١٢٣ . ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص١٦٤، ١٦٥.

(٣) الصحيح الجامع ، جـ١ (كتاب الوضوء ، باب من لم ير الوضوء إلا من المخرجين من القبل والدبر)، ص٧٧، ٧٨ .

(٤) د/ علي الصلابي : السيرة النبوية ، ص٥٦٥ .

(٥) حراسة المعسكر الإسلامي في فتح مكة :

خرج الرسول ﷺ لفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة، ولما نزل مر الظهران[١] عشاءً، أمر الجيش فأوقد النيران، فأوقدت عشرة آلاف نار، وجعل ﷺ على الحرس عمر بن الخطاب ﷺ [٢].

ولا شك أن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في أمس الحاجة إلى الحراسة في تلك الغزوة، خاصة أن هؤلاء الذين خرجوا إليهم فاتحين، كانوا منذ حوالي عامين قد عملوا على منعهم من دخول مكة لأداء العمرة .

(٦) حراسة المعسكر الإسلامي في غزوة حنين :

لما بلغ هوازن فتح مكة جمعهم مالك بن عوف[٣]، وساق معهم أموالهم وماشيتهم ونساءهم وأولادهم، وزعم أن ذلك لتحمس به نفوسهم، وتشتد في

---

(١) مر الظهران : واد من أودية الحجاز ، يأخذ مياه النخلتين فيمر شمال مكة على ٢٢ كم ويصب في البحر جنوب جدة بقرابة ٢٠ كم . عاتق بن غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص٢٨٨ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبير، ج٢ ، ص١٢٦ . ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، ج٣ ، ص٤٠٢ .

(٣) مالك بن عوف : هو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع ، انهزم يوم حنين كافرًا ، ولحق بالطائف ، فقال رسول الله ﷺ : لو أتاني مسلمًا لرددت له أهله وماله ، فبلغه ذلك ، فلحق برسول الله ، وأسلم وحسن إسلامه . ابن عبدالبر : الاستيعاب ، مج٣، ص١٣٥٦ ، ١٣٥٧ .

القتال شوكتهم[١].

خرج الرسول ﷺ من مكة ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه[٢]، وساروا، وأطنبوا السير، حتى كانت عشية، حضرت الصلاة مع رسول الله ﷺ ، فجاء فارس، فقال : يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا في وادي حنين، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال : تلك غنيمة المسلمين غدًا أن شاء الله تعالى ، ثم قال : من يحرسنا الليلة ؟ فقال أنس بن أبي مرثد الغنوي : أنا يا رسول الله، قال: فاركَبْ، فركب فرساً له، فجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسولُ الله ﷺ : استقبِلْ هذا الشِّعْبَ حتى تكون في أعلاهُ ولا نُغَرَّنَّ من قِبَلِكَ الليلةَ ، فلما أصبحنا خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى مُصلاّه فركع ركعتين، ثم قال: هل أحسسْتم فارسَكم ؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسَسْناه، فثُوِّب بالصلاة، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يصلي وهو يلتفتُ إلى الشعبِ حتى إذا قضى صلاتَه وسلَّم، قال: أبشِروا فقد جاءكم فارسُكم ، فجعلنا ننظُر إلى خِلال الشَّجر في الشِّعب، فإذا هو قد جاء حتى وقفَ على رسولِ الله ﷺ فسلّم، فقال: إني انطلقتُ حتى كنتُ في أعلى هذا الشِّعب حيث أمرني رسولُ الله ﷺ ، فلما أصبحتُ اطَّلعتُ الشَّعبَين كليهما، فنظرتُ فلم أرَ أحداً، فقال له رسولُ الله ﷺ : هل نزلتَ الليلةَ؟ قال: لا، إلا مُصلياً أو قاضياً حاجةً، فقال له رسولُ الله ﷺ : قد أَوْجَبْتَ[٣]، فلا عليك أن لا تعملَ

(١) ابن عبد البر : الدرر، ص٢٣٧ .

(٢) خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، ص٨٨ .

(٣) قوله قد أوجبت : أي أوجبت لنفسك الجنة بما صنعت من حرسك الليلة . ابن النحاس : مشارع الأشواق ، ص٤٢٢ .

بَعَدها[1].

لقد علم الرسول ﷺ بخروج هوازن بكامل استعداداتهم واجتماعهم في وادي حنين، وعلى الرغم من أنه بشَّر صحابته بالنصر والغنيمة، إلا أنه كان لا بد له من اتخاذ كافة التدابير لحماية جيشه، فأمر بالحراسة، بل وتابع الحارس الذي تم تكليفه لهذا الأمر حتى جاء إليه، واستوثق منه بنفسه .

(٧) حراسة المعسكر الإسلامي في غزوة تبوك :

خرج الرسول ﷺ إلى تبوك في رجب في السنة التاسعة من الهجرة، وأقام بها عشرين ليلة[2]، وفي هذه الغزوة استعمل رسول الله ﷺ عَلَى حَرَسِهِ منذ قَدِمَ إِلَى أَنْ رَحَلَ مِنْهَا عَبّادَ بْنَ بِشْرٍ، فَكَانَ عَبّادُ بْنُ بِشْرٍ يَطُوفُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي الْعَسْكَرِ، فَغَدَا إلى رسول الله ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا زِلْنَا نَسْمَعُ صَوْتَ تَكْبِيرٍ مَنْ وَرَائِنَا حَتّى أَصْبَحْنَا، فَوَلّيْت أَحَدًا يَطُوفُ عَلَى الْحَرَسِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَا فَعَلْت، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى خيلنا انتدب، فقال سلكان بن سَلَامَةَ[3]: يَا رَسُولَ اللهِ، خَرَجْت فِي عَشْرَةٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى خَيْلِنَا فَكُنّا نَحْرُسُ الْحَرَسَ، فقال

---

(١) أبو داود : السنن، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، (كتاب الجهاد، باب في فضل الحرس في سبيل الله عز وجل)، ص ٤٣٩ ، رقم (٢٥٠١) . ابن أبي عاصم: كتاب الجهاد، تحقيق: مساعد بن سليمان الراشد ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، جـ٢ ، ص٤٢٠ – ٤٢٣ . المنذري : الترغيب والترهيب ، ص٥٢٦ ، ٥٢٧ ، رقم (١٨٢٠) .

(٢) أحمد بن حنبل: المسند ، جـ٣ ، ص٢٩٥. ابن الجوزي : الوفا ، جـ٢ ، ص٤٣١.

(٣) سلكان بن سلامة : هو أبونائلة سلكان بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء الأنصاري الأشهلي، كان من الرماة المشهورين من أصحاب الرسول ﷺ، وكان شاعرًا، شارك في قتل كعب بن الأشرف الذي كان أخاه من الرضاعة. ابن عبدالبر: الاستيعاب،مج٤، ص١٧٤٥.

رسول الله ﷺ : « رَحِمَ اللهُ حَرَسَ الْحَرَسِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ: فَلَكُمْ قِيرَاطٌ مِنْ الْأَجْرِ عَلَى كُلّ مَنْ حَرَسْتُمْ مِنْ النّاسِ جَمِيعًا أَوْ دَابّةٌ »[1] .

وبذلك يتضح أن النبي ﷺ وضع عباد بن بشر على الحرس؛ لحماية الجيش وحفظه، فكان يطوف على أصحابه في العسكر، غير أن عشرة من الصحابة – منهم سلكان بن سلامة – خافوا أن يحدث للحرس حادث أو غيره، فما كان منهم إلا أن قاموا بحراسة الحرس، جاهرين بالتكبير .

(٨) حراسة المعسكر الإسلامي في مواطن أخرى :

لم تقتصر حراسة المعسكر الإسلامي على الغزوات السابقة، فقد روى أبوريحانة ﷺ أنه قال : « كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَأَتَيْنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَى سَرِفٍ[2]، فَبِتْنَا عَلَيْهِ، فَأَصَابَنَا بَرْدٌ شَدِيدٌ حَتَّى رَأَيْتُ مَنْ يَحْفِرُ فِي الْأَرْضِ حُفْرَةً يَدْخُلُ فِيهَا، وَيُلْقِي عَلَيْهِ الْحَجَفَةَ – يَعْنِي التُّرْسَ – فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ النَّاسِ قال: مَنْ يَحْرُسُنَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَدْعُو لَهُ بِدُعَاءٍ يَكُونُ فِيهِ فَضْلاً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَتَسَمَّى لَهُ الْأَنْصَارِيُّ، فَفَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ بِالدُّعَاءِ، فَأَكْثَرَ مِنْه ... »[3].

هذه النماذج وغيرها تؤكد مدى حرص النبي ﷺ على تأمين جيش المسلمين وتوفير الحماية الكافية لهم أثناء الغزوات .

---

(١) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص١٠٣٤ . ابن النحاس : مشارع الأشواق ، ص٤٢٦ ، ٤٢٧ . المقريزي : إمتاع الأسماع ، جـ٢ ، ص٦٨.

(٢) سرف : واد من أودية مكة . غيث بن البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص١٥٦ .

(٣) أحمد بن حنبل : المسند ، جـ٤ ، ص١٣٤ ، ١٣٥ .

المبحث الخامس

صلاة الخوف

صلاة الخوف :

هي صلاة خاصة بمن هم في حالة حرب، ويجوز فيها ما لا يجوز في غيرها من الصلاة المعتادة[١] .

كيفيتها : أن يصلي الإمام بهم، وهم صفان، فيكبر بهم جميعًا، ثم يسجد الإمام والصف الذي يليه، والآخرون قيام يحرسونه، فإذا قاموا سجد الآخرون الذين كانوا خلفهم، ثم يتأخر الصف الذي يليه إلى مقام الآخرين، فيتقدم الصف الأخير إلى مقامهم، ثم يركع الإمام ويركعون جميعًا، ثم يسجد ويسجد الصف الذي يليه والآخرون يحرسونه، فإذا جلس الإمام والصف الذي يليه سجد الآخرون، ثم جلسوا جميعًا، ثم سلم عليهم جميعًا[٢].

هذا إذا كان العدو في جهة القبلة، أما إذا كان في غير جهة القبلة، فإنه يجعلهم فرقتين : فرقة بإزاء العدو، وفرقة تصلي معه، فتصلي معه إحدى الفرقتين ركعة، ثم تنصرف في صلاتها إلى مكان الفرقة الأخرى، وتجيء الأخرى إلى مكان هذه، فتصلي معه الركعة الثانية، ثم تسلم وتقضي كل طائفة ركعة ركعة بعد سلام الإمام[٣].

---

(١) محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى ، جـ٥ ، ص١٣٥ .

(٢) أبو داود : السنن (كتاب الصلاة ، باب صلاة الخوف) ، ص٢١٠ ، ٢١١ .

(٣) ابن قيم الجوزي : زاد المعاد ، جـ١ ، ص٥٣٠ .

كما أنه يمكن أن يصلي بإحدى الطائفتين ركعة، ثم يقوم إلى الثانية، وتقضي هي ركعة وهو واقف، وتسلم قبل ركوعه، وتأتي الطائفة الأخرى، فتصلي معه الركعة الثانية، فإذا جلس في التشهد، قامت فقضت ركعة وهو ينتظرها في التشهد، فإذا تشهد سلم بهم[١].

وبذلك يتضح أن الهدف من صلاة الخوف هو أن يقوم المسلمون بحراسة أنفسهم بأنفسهم؛ حتى لا يستغل الكفار دخولهم في الصلاة، فيقوموا بالهجوم عليهم، فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أنه ذكر صلاة رسول الله ﷺ صلاة الخوف، فقال ﷺ : « كما يفعل حرسكم هؤلاء لأمرائهم »[٢].

أما عن أول صلاة خوف صلاها النبي ﷺ فقد اختلف في ذلك : فهناك من رأى أن أول صلاة خوف صلاها النبي ﷺ في غزوة ذات الرقاع[٣]، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: « فكان أول ما صلى يومئذ [يقصد في غزوة ذات الرقاع] صلاة الخوف، وخاف أن يغيروا عليه، وهم في الصلاة، وهم صفوف »[٤].

وقد ذكرت الروايات أن النبي ﷺ عندما خرج في غزوة ذات الرقاع نزل نخلاً[٥]، فلقى بها جمعًا من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب إلا أن الناس خاف بعضهم بعضًا حتى إن الرسول ﷺ صلى بالمسلمين صلاة الخوف، ثم انصرف بهم[٦] .

---

(١) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، جـ١ ، ص٥٣٠ .

(٢) ابن شبه : تاريخ المدينة المنورة ، جـ١ ، ص٣٠٠ .

(٣) المقريزي : إمتاع الإسماع ، جـ١ ، ص١٩٧ .

(٤) الواقدي : المغازي ، جـ١ ، ص٣٩٦ .

(٥) نخل : موضع بنجد من أرض غطفان . ياقوت الحموي: معجم البلدان ، جـ٥ ،٢٧٦ .

(٦) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٣٨٧ . الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢، ص٥٥٦ ، ٥٥٨. ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص١٦٠ ، ١٦١ .

وهناك من يذكر أن أول صلاة خوف صلاها النبي ﷺ في عسفان[1] عندما خرج إلى الحديبية[2]، فقد روي عن أبي عياش الزرقي ﷺ أنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فحضرت صلاة الظهر، وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه الظهر، فقال المشركون : إن لهم صلاة بعد هذه هي أحب إليهم من أبنائهم وأموالهم وأنفسهم – يعنون صلاة العصر – فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر، فأخبره ونزلت هذه الآية : { وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ...}[3]، فأمرهم الرسول ﷺ فأخذوا السلاح، وصفوا خلفه صفين...[4]، فكان ابن عباس يقول : هذه أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ في الخوف»[5].

وبذلك يتضح أن خالد بن الوليد كان يريد أن يشن هجومًا كاسحًا على المسلمين وهم يصلون، إلا أن النبي ﷺ تنبه لذلك، فصلى بأصحابه صلاة الخوف،

---

(١) عسفان : بلدة على بعد ٨٠ كم من مكة شمالًا . عاتق بن غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص٢٠٨ .

(٢) ابن حجر : فتح الباري ، جـ٨ ، ص١٨٨. موسى بن راشد العازمي : اللؤلؤ المكنون ، جـ٣ ، ص٢٨٤.

(٣) سورة النساء ، من الآية (١٠٢) .

(٤) أحمد بن حنبل : المسند ، جـ٢٧، ص١٢٠ ، رقم (١٦٥٨٠) . أبو داود : السنن ، (كتاب الصلاة ، باب من قال : يقوم صف مع الإمام وصف وجاه العدو ...) ، ص ٢١١ ، رقم (١٢٣٦) . أبو نعيم الأصبهاني ، معرفة الصحابة ، جـ٣ ، ص١١٧٦ .

(٥) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٥٨٣.

وبهذا أحبط خطة خالد بن الوليد التي بها أراد أن يأخذ المسلمين على حين غرة، فيضربهم وهم في صلاتهم آمنين[١] .

أما عن الاختلاف حول أول صلاة خوف صلاها النبي ﷺ ، فالروايات تجمع أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع، وفي عسفان، غير أن الاختلاف في وقت وقوع غزوة ذات الرقاع، ولذلك يقول د/ أكرم ضياء العمري : « ... فتكون أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ بعسفان في الحديبية على رأي من أخَّر غزوة ذات الرقاع إلى ما بعد الحديبية، وهو الصحيح »[٢].

ويستدل ابن قيم الجوزية على أن أول صلاة خوف صلاها النبي ﷺ بعسفان بأنه صح أن المشركين حبسوا رسول الله يوم الخندق عن صلاة العصر حتى غابت الشمس، بل إن هناك من ذكر أنهم حبسوه عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء فصلاهن جميعًا، وذلك قبل نزول صلاة الخوف، ومن المعروف أن غزوة الخندق كانت سنة خمس من الهجرة، ولا خلاف في أن عسفان كانت بعد الخندق؛ وقد صح أنه ﷺ صلى صلاة الخوف بذات الرقاع، فعلم أنها بعد الخندق وبعد عسفان ، ويعقب ابن قيم الجوزية على ذلك قائلًا : « وهذا يدل على أن غزوة ذات الرقاع بعد خيبر، وأن من جعلها قبل الخندق فقد وهم وهمًا ظاهرًا ... »[٣] .

كما تذكر الروايات كذلك أن النبي ﷺ صلى صلاة الخوف بذي قرد (الغابة) سنة ٦هـ ، فقد ثبت عن ابن عباس ﷺ أنه قال : « صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَسَلَّمَ صَلاةَ الْخَوْفِ بِذِي قَرَدٍ – أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ – فَصَفَّ النَّاسُ خَلْفَهُ صَفَّيْنِ،

(١) محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى ، جـ٥ ، ص١٣٥ .

(٢) السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص٤٣٧ .

(٣) فقه السيرة النبوية ، ص٢١٨ ، ٢١٩ .

صَفٌّ مُوَازِي الْعَدُوِّ، وَصَفٌّ خَلْفَهُ، فَصَلَّى بِالصَّفِّ الَّذِي يَلِيهِ رَكْعَةً، ثُمَّ نَكَصَ هَؤُلاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلاءِ، وَهَؤُلاءِ إِلَى مَصَافِّ هَؤُلاءِ، فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً أُخْرَى»[1]، فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَانِ، وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ رَكْعَةٌ[2].

(١) أحمد بن حنبل : المسند، جـ٣ ، ص٤٩٣ ، رقم (٢٠٦٣) . ابن بلبان الفارسي : صحيح ابن حبان ، جـ٧ ، ص١٢٢ ، رقم (٢٨٧١) .

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٥٤٦ .

المبحث السادس
أسباب الحراسة

تعددت الأسباب والدوافع التي من أجلها كانت الحراسة لشخص النبي ﷺ ، أو للمدينة عاصمة الدولة الإسلامية في العهد النبوي، أو للمعسكر الإسلامي ، والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

(١) كثرة الإيذاء للنبي ﷺ من قبل أعدائه :

لم يفتر المشركون عن أذى رسول الله ﷺ منذ أن صدع بدعوته إلى أن خرج من بين أظهرهم، وأظهره الله عليهم، ويدل على مبلغ هذا الأذى تلك الآيات القرآنية الكثيرة التي كانت تتنزل عليه في هذه الفترة، تأمره بالصبر، وتدله على وسائله، وتنهاه عن الحزن[١] ، ومن هذه الآيات: قوله تعالى : { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا }[٢]، وقوله سبحانه : { وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا }[٣]، وقوله ﷻ : { وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ } [٤].

ولهذا كانت الحراسة الإلهية لنبيه ﷺ والتي تمثلت – كما ذكرنا – في إخبار المولى سبحانه له بما عزم عليه أعداؤه، ومنعهم من قتله أو التعرض له، كما كانت الحراسة البشرية لشخصه ﷺ من قبل أصحابه .

---

(١) د/ علي الصلابي : السيرة النبوية ، ص١٤٣ .
(٢) سورة الإنسان ، الآية (٢٤) .
(٣) سورة المزمل ، الآية (١٠) .
(٤) سورة النمل ، الآية (٧٠) .

(٢) الحفاظ على حياة القائد :

في كل معركة وكل جيش لا بد من الحرص على القيادة والمحافظة عليها؛ لأن في الوصول إلى القيادة ومقرها انهزامًا للجيش المحارب وارتباكًا له في ميدان القتال[١]، وقد درجت الجيوش المتحاربة على الوصول للقائد؛ لأن في قتله تحقيقًا للنصر بأقصر طريق وأقل ثمن، كما أن في قتل القائد أيضًا قضاءً على الركن الأساسي الذي يعتمد عليه الجنود – بعد الله – وينضوون تحت لوائه، ومن ثَمَّ يكون حلول الهزيمة أمرًا لا مفر منه[٢].

وقد فطن المسلمون في غزواتهم إلى مثل هذه الأمور، فعملوا على توفير الحماية اللازمة للنبي ﷺ ، وذلك بتوفير مكان آمن له، يقود من خلاله المعركة، ثم تكثيف الحراسة التي تمنع من الوصول إليه .

وقد أكدت المصادر أن حراسة النبي ﷺ في غزوة بدر كان سببها خوف الصحابة على حياة النبي ﷺ ، فسعد بن معاذ ﷺ كان – كما ذكرنا – قائمًا على باب العريش متوشحًا السيف في نفر من الأنصار يحرسونه ﷺ ؛ يخافون عليه كره العدو[٣] . يقول ابن كثير: « وكان سعد بن معاذ على باب العريش، متقلدًا بالسيف، ومعه رجال من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ ؛ خوفًا عليه من أن

---

(١) أحمد محمد العليمي : مرويات غزوة بدر، ص١٨٤ .

(٢) عبد الله الرشيد : القيادة العسكرية في عهد الرسول ، ص٣٩٨ .

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص١٩٧ . ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ١ ، ص٣٩٨ . الذهبي : تاريخ الإسلام (المغازي) ، ص ٥٨ . ابن برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ، جـ٢ ، ص٣٣٩ .

يدهمه العدو من المشركين، والجنائب النجائب مهيأه لرسول الله ﷺ إن احتاج إليها ركبها »[١] .

كما قام الصحابة بحراسة النبي ﷺ عندما علموا برغبة قريش في الهجوم على المدينة في غزوة أحد، فباتوا على باب النبي ﷺ ؛ « خوفًا من بيات المشركين »[٢] .

وعندما جاء سعد بن أبي وقاص ﷺ لحراسة النبي ﷺ ، ذكر في سبب مجيئه أنه « وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ »[٣] .

ومثل هذا السبب ينطبق على بقية الغزوات التي قام فيها الصحابة بحراسة نبيهم ﷺ ، والدفاع عنه .

(٣) توفر دوافع القتل والانتقام :

كانت هناك حالات قام فيها الصحابة بحراسة النبي ﷺ عندما وجدوا أنه بالقرب منه أحد هؤلاء الذين تتوفر لديهم دوافع القتل والانتقام من شخصه الكريم، وذلك كما حدث مع عمير بن وهب الجمحي وصفية بنت حيي .

إذ تجمع الروايات على أن عمر بن الخطاب ﷺ عندما رأى عمير ابن وهب، وقد أناخ على باب المسجد، متوشحًا سيفه، قال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشر، وهذا الذي حرش بيننا، وحزرنا القوم يوم بدر[٤] .

---

(١) ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٤١٠ .

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ١ ، ص٢٠٨ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، جـ٨ ، ص٩٢ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢، ص٢٢١. الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢، ص٤٧٣ .

وبذلك يكون عمر بن الخطاب ﷺ قد ذكر بعض الدلالات التي تشير إلى كونه أراد قتل النبي ﷺ ، والنيل منه، فهو قد جاء « متوشحًا سيفه » ، وهو ما يعني أنه جاء مستعدًا لما عزم على فعله، ثم اتجاهه إلى رسول الله مباشرة، وهو ما يعني اتجاهه إلى الهدف الذي جاء من أجله، ثم أشار عمر بن الخطاب إلى بعض أفعاله المشينة التي قام بها تجاه المسلمين من قبل، فذكر أنه هو الذي حرض على قتال المسلمين في بدر .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن عمير بن وهب كان ابنه أسيرًا لدى المسلمين في غزوة بدر[١] أيضًا علمنا أن عميرًا كان لديه دافع قوي لقتل الرسول ﷺ ، والانتقام لما حدث في بدر.

وأمام هذه الدلالات والدوافع ما كان من عمر بن الخطاب إلا أن أمر الصحابة بحراسة النبي ﷺ ، فقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: « ادخلوا على رسول الله، فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث؛ فإنه غير مأمون »[٢] .

كذلك قام أبو أيوب الأنصاري ﷺ بحراسة الرسول ﷺ عندما أعرس بصفية بنت حيي بن أخطب، وعندما سأله النبي ﷺ عن سبب فعله هذا، أجابه بأنها « جارية، شابة، حديثة عهد بعرس[٣]، وقد قتلت أباها وزوجها وقومها، وهي حديثة

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢، ص ٢٢٠ . ابن الجوزي: المنتظم ، جـ٣ ، ص١٢٥.

(٢) ابن سيد الناس: عيون الأثر، جـ١ ، ص ٤١٤ . الذهبي : تاريخ الإسلام (المغازي) ، ص٧٢ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٢ ، ص١١٠. ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٣ ، ص٢٩٦.

عهد بكفر، فخفتها عليك »[١]، وهو ما يعني وجود الدوافع القوية لمثلها لقتل النبي ﷺ ، والانتقام منه .

(٤) إظهار القوة والعظمة تجاه المشركين :

في بعض الأحيان يكون الغرض من الحراسة هو إظهار القوة والعظمة تجاه المشركين؛ وذلك لبث الخوف في نفوسهم، ومنعهم من الإقدام على إلحاق الضرر والأذى بالنبي ﷺ .

ويتضح هذا الأمر جليًا في قيام المغيرة بن شعبة بحراسة النبيﷺ في الحديبية، ويدل على ذلك قيامه على رأس الرسول ﷺ وهو في كامل هيئته، وهو ما أشارت إليه المصادر بقولها : « والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد »[٢]، وهو ما فسرته بعض المصادر الأخرى بقولها : « والمغيرة قائم على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، على وجهه المغفر »[٣] .

يقول ابن قيم الجوزية : « وفي قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول الله ﷺ بالسيف – ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد – سنة يُقتدى بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العز والفخر، وتعظيم الإمام وطاعته، ووِقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين ...»[٤] .

وعندما جاء سهيل بن عمرو لمفاوضة الرسول ﷺ ، كان هناك اثنان من الصحابة على نفس هيئة المغيرة بن شعبة، هما : عباد بن بشر، وسلمة بن أسلم،

---

(١) ابن إسحاق: السيرة النبوية ، جـ٢، ص٤٨٠. ابن هشام : السيرة النبوية، جـ٣، ص٢١٩.
(٢) ابن إسحاق: السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص ٤٥٨. السهيلي: الروض الأنف ، جـ٤، ص٢٧.
(٣) الواقدي: المغازي ، جـ٢ ، ص٥٩٦ . الذهبي : تاريخ الإسلام (المغازي) ، ص٣٦٩ .
(٤) فقه السيرة النبوية ، ص٢٥٦ .

إذ إنهما كانا مقنَّعَين بالحديد، قائمَين على رأس رسول الله ﷺ ، وعندما طال الكلام وارتفعت الأصوات، قال عباد بن بشر لسهيل: اخفض من صوتك عند رسول الله ﷺ [١] .

(٥) الخوف على الذراري والنساء :

ظهر للدولة الإسلامية في المدينة خصوم في داخلها وفي خارجها، ولم يمض وقت طويل حتى اتفقت مصلحة الخصوم في الداخل والخارج، وتضافرت الجهود على سحق قوة المدينة والقضاء عليها[٢]، يقول أُبَي بن كعب ﷺ : « لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلا فيه »[٣].

وكان أكثر ما يخشى النبي ﷺ على النساء والذراري؛ لذا أمر ﷺ في غزوة الخندق بجعلهم في آطام المدينة، يقول جابر بن عبد الله ﷺ : « كان خوفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش، حتى فرج الله ذلك »[٤].

ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك، بل كان يبعث الحرس إلى المدينة؛ خوفًا على الذراري من بني قريظة[٥]، يقول أبو بكر الصديق ﷺ : « لقد خفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش وغطفان، ولقد كنت أوفي على

---

(١) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٦٠٥ ، ٦٠٦ . الصالحي: سبل الهدي والرشاد في سيرة في سيرة خير العباد ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت وجودة عبدالرحمن هلال ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص٨٥ ، ٨٦ .

(٢) د/ أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص٤٣١ .

(٣) موسى بن راشد العازمي : اللؤلؤ المكنون ، جـ ٢، ص٢٦٩ .

(٤) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٨ .

(٥) القسطلاني : المواهب اللدنية ، جـ١ ، ص٤٥٣ .

سلع فأنظر إلى بيوت المسلمين، فإذا رأيتهم هادين حمدت الله ﷻ، فكان مما رد الله به قريظة عما أراوا أن المدينة كانت تُحرس» [١].

ولا شك أن حماية الذراري والنساء والصبيان لها أثر فعال على معنويات المقاتلين؛ لأن الجندي إذا اطمأن على زوجه وأبنائه يكون هادئ البال؛ فلا يشغل تفكيره أمر من أمور الدنيا، ويسخر كل إمكاناته وقدراته العقلية والجسدية للإبداع في القتال . أما إذا كان الأمر بعكس ذلك ، فإن أمر الجندي يضطرب، ومعنوياته تضعف، ويستولي عليه القلق، مما يكون له أثره في تراجعه عن القتال، وبذلك تنزل الكارثة بالجميع[٢] .

(٦) حماية جيش المسلمين من أي اعتداء :

حرص الرسول ﷺ على توفير الحراسة اللازمة لجيش المسلمين عند خروجهم في إحدى الغزوات؛ تحسبًا لأي اعتداء يمكن أن يشنه الجيش المعادي عليهم .

وقد ذكرت المصادر العديد من الأمثلة على ذلك : ففي غزوة أحد استعمل ﷺ – كما ذكرنا – محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً، كانوا يُطِيفون بالعسكر[٣]، وفي غزوة ذات الرقاع قام عمار بن ياسر وعباد بن بشر بحراسة المسلمين ليلاً[٤]، كما قام بصلاة الخوف في هذه الغزوة؛ « مخشاة أن يكروا عليه »[٥] .

---

(١) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٠ .

(٢) د/ علي الصلابي : السيرة النبوية ، ص٥٩٦ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢ ، ص٣٦ .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص١٢٢ .

(٥) البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص٤١٩.

وهناك رواية عن أم سلمة أنها قالت : « كُنْت مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ فَلَمْ أُفَارِقْهُ مَقَامَهُ كُلّهُ ، وَكَانَ يَحْرُسُ بِنَفْسِهِ فِي الْخَنْدَقِ، وَكُنّا فِي قُرّ شَدِيدٍ، فَإِنّي لَأَنْظُرُ إلَيْهِ قَامَ فَصَلّى مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُصَلّيَ فِي قُبّتِهِ، ثُمّ خَرَجَ فَنَظَرَ سَاعَةً فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: هَذِهِ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ تُطِيفُ بِالْخَنْدَقِ، مَنْ لَهُمْ؟ ثُمّ نَادَى: يَا عَبّادَ بْنَ بِشْرٍ، فَقَالَ عَبّادٌ: لَبّيْكَ! قَالَ: أَمَعَك أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَنَا فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِي كُنّا حَوْلَ قُبّتِك، قَالَ: فَانْطَلِقْ فِي أَصْحَابِك فَأَطِفْ بِالْخَنْدَقِ، فَهَذِهِ خَيْلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ تُطِيفُ بِكُمْ يَطْمَعُونَ أَنْ يُصِيبُوا مِنْكُمْ غرة، اللهُمّ ادْفَعْ عَنّا شَرّهُمْ، وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ، وَاغْلِبْهُمْ، لَا يَغْلِبُهُمْ غَيْرُك »[1] .

وبذلك يتضح أن الرسول ﷺ كان يحرس الخندق بنفسه، حتى إذا ما شعر بخيل المشركين، أمر عباد بن بشر بالحراسة والطواف حول المعسكر، وعلل ﷺ ذلك بأن المشركين يطمعون أن يصيبوا من المسلمين غرة، وهنا لزمت الحراسة .

كما قام المسلمون بحراسة معسكرهم في الحديبية، وخيبر، وعند فتح مكة، وفي حنين عندما أُخبر بوجود هوازن بظعنهم ونعمهم وشائهم في وادي حنين[2]، وقد أخرج أبو داود عن سهيل بن الحنظلية ﷺ أنه قال : « ثُوّب بالصلاة، يعني صلاة الصبح، فجعل رسول الله ﷺ يصلي، وهو يلتفت إلى الشعب، قال أبو داود : وكان أرسل فارسًا إلى الشُعب من الليل يحرس »[3] .

(٧) تأمين الحرس :

تتلخص مهمة الحراس في حفظ ما يراد حرسه، ومنع أي أحد من الوصول إليه، ولكنهم قد يتعرضون للقتل أو الأذى، أو يحدث لهم ما يمنعهم من مباشرة

---

(١) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٤ .

(٢) البيهقي : دلائل النبوة ، جـ٥ ، ص١٢٥ ، ١٢٦.

(٣) السنن ، (كتاب الصلاة ، باب الرخصة في ذلك) ، ص١٦٠ ، رقم (٩١٦) .

مهمتهم، وهنا يتعرض الجيش كله للخطر؛ لذا كان تأمين الحراس أحد أسباب ودوافع الحراسة في العهد النبوي .

ففي غزوة تبوك استعمل الرسول ﷺ على الحرس عباد بن بشر، فخرج سلكان بن سلامة في عشرة من المسلمين لحراسة الحرس(١).

(١) المقريزي : إمتاع الأسماع ، جـ٢ ، ص٦٨ .

المبحث السابع
أعداد الحرس

(١) أعداد حراس النبي ﷺ :

اختلف عدد الحراس الذين قاموا بحراسة النبي ﷺ ، ففي بعض الأحيان حرسه حارس واحد، أو حارسان، فكما ذكرنا أنه ﷺ كان يحرسه عمر بن الخطاب ﷺ في مكة إذا قام يصلي في الحجر، كما حرسه في الحديبية المغيرة بن شعبة ، وحرسه هناك أيضًا عباد بن بشر وسلمة بن أسلم، وحرسه أبو أيوب الأنصاري عندما أعرس بصفية بنت حيي بن أخطب .

فأما حراسة عمر بن الخطاب ﷺ له ﷺ فلا شك أن مهابة عمر كانت تمنع أيًا من المشركين أن يقتربوا منه، وبالتالي فلا حاجة إلى من يقوم بالحراسة إلى جانبه . وأما حراسته ﷺ في الحديبية فقد ذكرنا سلفًا أن الهدف من الحراسة في هذا الموطن هو إظهار القوة والعظمة أمام المشركين، وقد حصلت بوجود المغيرة بن شعبة، وكذلك عباد بن بشر وسلمة بن أسلم، كما أن النبي ﷺ كان بين المسلمين الذين كانوا معه في الحديبية، وفي حراستهم جميعًا .

وأما عن حراسة أبي أيوب الأنصاري له، فقد كان الهدف منها حراسته من السيدة صفية – رضي الله عنها – وبالتالي لم يكن الأمر في حاجة إلى أكثر من رجل واحد للحراسة .

وفي بعض الأحيان كان يحرس النبي ﷺ عدد غير قليل من صحابته، وخاصة إذا كانت الظروف تستدعي ذلك، ففي غزوة بدر حرسته فرقة من الأنصار، وقفوا بقيادة سعد بن معاذ يحرسونه حول مقر قيادته[١].

---

(١) محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى ، جـ١ ، ص١٥١.

غير أن المصادر لم تحدد عدد هؤلاء الحراس، وجاءت رواياتها مبهمة تشير إلى أن سعد بن معاذ كان قائمًا على باب العريش الذي كان فيه رسول الله ﷺ في « نفر من الأنصار »[1]، أو « في قوم من الأنصار»[2]، أو « ومعه رجال من الأنصار»[3] .

ولعل في تلك الرواية التي ذكرها ابن حبان وغيره ما يشير إلى أن عدد حراس النبي ﷺ في بدر لم يكن قليلاً، فقد جاء فيها : « وَلما وَقع بأيدي الْمُسلمين مَا وَقع من الْمُشْركين اخْتلفُوا فَكَانُوا ثَلَاثًا : فَقَالَ الَّذين جمعُوا الْمَتَاع قد كَانَ رَسُول الله ﷺ نفل كل امْرِئ مَا أصَاب، وَقَالَ الَّذين كَانُوا يطْلبُونَ الْعَدو: وَالله لَوْلَا نَحن مَا أصبتموه وَنحن شغلنا عنكم الْقَوْم حَتَّى أصبْتُم مَا أصبْتُم، وَقَالَ الحرس الَّذين كَانُوا يَحْرُسُونَ رَسُول اللَّهِ ﷺ؛ مَخَافَة أَن يُخَالف إِلَيْهِ الْعَدو: وَالله مَا أَنْتُم أَحَق بِهِ منا لَو أردنَا أَن نقبل الْعَدو حِين منحونا أكتافهم وَأَن نَأْخُذ الْمَتَاع حِين لم يكن أحد دونه فعلنَا، وَلَكنَّا خفنا على رَسُول اللَّهِ ﷺ كرة الْعَدو فقمنا دونه فَمَا أَنْتُم بِأَحَق بِهِ منا... فتنازعوا فَأنْزل اللَّه تَعَالَى { يَسْأَلُونَكَ عَن الأنفال }[4] ... إِلَى آخر السُّورَة »[5].

أما عن حراسة الرسول ﷺ عندما قدم عليه عمير بن وهب الجمحي، فقد أشارت الروايات إلى أن عمر بن الخطاب ﷺ قال « لرجال ممن كانوا معه من

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص١٩٧ . ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ١، ص٣٩٨. الذهبي : تاريخ الإسلام (المغازي) ، جـ١ ، ص٥٨ .

(٢) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، جـ٣ ، ص١٧٩ .

(٣) ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٤١٠ .

(٤) سورة الأنفال، من الآية (١) .

(٥) كتاب الثقات ، جـ١ ، ص١٧٨، ١٧٩. وانظر أيضًا الكلاعي : الاكتفاء ، مـج١ ، جـ٢ ، ص٣٤

الأنصار: ادخلوا على رسول الله، فاجلسوا عنده ... » [١]، وعلى الرغم من عدم تحديد أعداد هؤلاء الذين جلسوا عند رسول الله ﷺ ، وقاموا بحراسته؛ إلا أنه كما يبدو أن عددهم لم يكن بالقليل.

وعندما علم الرسول ﷺ بخروج المشركين في غزوة أحد، بات سعد ابن معاذ، وأسيد بن حضير، وسعد بن عبادة على باب النبي ﷺ ؛ لحراسته، غير أنه لم يكن هؤلاء الثلاثة فقط هم الذين قاموا بهذه المهمة، فقد كانوا – كما أشارت المصادر – يقومون بأعمال الحراسة « في عدة من الناس»[٢]، أو « في جماعة»[٣].

وفي غزوة الخندق كانت هناك مجموعة من الأنصار، تقوم بحراسة النبي ﷺ في كل ليلة، على رأسهم عباد بن بشر[٤]، وهو ما أشار إليه ابن سعد (ت٢٣٠هـ) بقوله : « كان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله ﷺ مع غيره من الأنصار، يحرسونه كل ليلة »[٥]، بينما حدد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) الحرس بـ « عشرة من الأنصار يحرسونه كل ليلة »[٦].

---

(١) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص ٢٧٢. البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص٣٦٥ . الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢، ص٤٧٣ . ابن الجوزي: المنتظم ، جـ٣ ، ص١٢٦ .

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ١ ، ص٢٠٨ . ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢ ، ص٣٤ . ابن الجوزي : الوفا ، جـ٢ ، ص٣٩٩ .

(٣) البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص٣٨٤ .

(٤) د/ علي الصلابي : غزوات الرسول ، ص١٩٨ .

(٥) الطبقات الكبير، جـ٢ ، ص٦٤ .

(٦) المنتظم ، جـ٣ ، ص٢٣٠ .

كما تمت حراسة النبي ﷺ في غزوة تبوك – عندما كان يصلي ليلاً – بعدد من الحراس، أُشير إليهم بـ « ناس من المسلمين يحرسونه»[1] أو « رجال من أصحابه يحرسونه »[2].

مما سبق يتضح الآتي :

١- أن عدد حرس النبي ﷺ كان يكثر عندما يشعر هؤلاء بالخطر على حياته؛ الأمر الذي يستلزم قيام عدد كبير منهم بهذه المهمة .

٢- حرص الصحابة – رضوان الله عليهم – على حياة النبي ﷺ والتضحية بأنفسهم؛ حتى لا يمسه أحد من أعدائه بسوء .

٣- حرص الصحابة على نيل الثواب العظيم والشرف الكبير بمشاركتهم في حراسة النبي ﷺ والدفاع عنه.

(٢) أعداد حراس المدينة :

يلاحظ كثرة عدد حراس المدينة عند قيامهم بهذه المهمة، وهذا أمر طبيعي، إذ إن مثل هذا الأمر لا يستطيع القيام به عدد قليل من الحراس، وعلى الرغم من أن المصادر لم تصرح بأعداد من قاموا بهذه المهمة في بعض الأحيان، إلا أنها صرحت بها في أحيان أخرى .

---

(١) الواقدي : المغازي ، ج٣ ، ص١٠٢١.

(٢) الطحاوي : شرح مشكل الآثار، ج ١١ (باب مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ من قوله في الصعيد المذكور في كتاب الله للمتيمم به عند إعواز الماء ما هو) ، ص٣٤٩ ، رقم (٤٤٨٩) .

فالمصادر لم تصرح بذكر أعداد من قاموا بحراسة المدينة عندما علم الرسول ﷺ وصحابته بخروج المشركين لغزوة أحد، واكتفت بقولها : « وحُرست المدينة »[١].

أما في غزوة الخندق، فإن الرسول ﷺ عندما علم بنقض بني قريظة للعهد الذي بينهم وبين المسلمين، بعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل؛ لحراسة المدينة [٢] .

وعندما أغار عيينة بن حصن على المدينة، وسار الرسول ﷺ في أثره، خلَّف سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه؛ يحرسون المدينة حتى رجع[٣] .

(٣) أعداد حراس المعسكر الإسلامي :

اختلف عدد الحراس الذين قاموا بحراسة المعسكر الإسلامي، فعندما خرج الرسول ﷺ إلى أحد، قام بهذه المهمة رجل واحد، هو ذكوان بن عبد قيس[٤]، وعندما انصرف المسلمون من خيبر قام بحراستهم بلال بن رباح[٥]، وفي غزوة

(١) الواقدي : المغازي ، جـ١ ، ص٢٠٨. ابن سعد: الطبقات الكبير ، جـ٢ ، ص٣٤ . البلاذري: جمل من أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص٣٨٤ . ابن الجوزي : الوفا ، جـ٢ ، ص٣٩٩ .

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص ٤٦٠. ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٣ ، ص٢٣٠. ابن سيد الناس : عيون الأثر، جـ٢، ص٨٩ . د/ أكرم ضياء العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص٤٢٨ .

(٣) المقريزي : إمتاع الأسماع ، جـ١ ، ٢٦٤. د/ حافظ أحمد عجاج الكرمي : الإدارة في عصر الرسول ﷺ ، ص٢٠٩.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، جـ٢ ، ص١٠٢٨ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٣ ، ص٢٩٨ .

حنين حرس المعسكر أنس بن أبي مرثد الغنوي[١]، أما في غزوة ذات الرقاع، فقد قام عمار بن ياسر وعباد بن بشر بحراسة المسلمين[٢] .

غير أنه في مواضع أخرى كثر عدد الحراس، ففي غزوة أحد، وعندما بات النبي ﷺ بالشيخين استعمل محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً[٣]، وعندما وصل النبي ﷺ إلى الحديبية أمر بإنشاء ثلاث كتائب؛ للقيام بأعمال الحراسة هناك، وكان قادة هذه الكتائب الثلاث، هم : عباد بن بشر وأوس بن خولي ومحمد ابن مسلمة[٤]، فكان هؤلاء الثلاثة يتناوبون الحراسة، ويبيتون على الحرس[٥] .

وعند فتح النبي ﷺ لمكة استعمل على الحرس عمر بن الخطاب[٦]، كما استعمل على الحرس بتبوك عباد بن بشر[٧]، فكان عباد يقوم مع رجاله بأعمال الدورية، فيطوف على أصحابه في العسكر[٨]، الأمر الذي يؤكد أن عدد الحرس كان كان كثيرًا، فكان عمر بن الخطاب ﷺ يتولى قيادتهم في فتح مكة، وعباد بن بشر في تبوك .

---

(١) الحاكم النيسابوري : المستدرك ، جـ٢ (كتاب الجهاد) ، ص١٠٣ ، رقم (٢٤٨٨) .

(٢) الواقدي: المغازي، جـ١، ص٣٩٧ . ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٣ ، ص١٦٤ ، ١٦٥ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبير ، جـ٢ ، ص٣٦ . البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص ٣٨٥ . المقريزي : إمتاع الأسماع ، جـ١ ، ص١٣٦ .

(٤) محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى ، جـ٥ ، ص١٤٨ .

(٥) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٦٠٢ .

(٦) ابن أبي شيبة : المغازي ، ص٣٢١. ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، جـ٣ ، ص٤٠١ .

(٧) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص١٠٣٤ .

(٨) محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى ، جـ١٠ ، ص٩٨ .

المبحث السابع

الحراسة بين التطوع والتكليف

كان الرسول ﷺ يرأس الدولة الإسلامية، ومسئولياتها الدنيوية، ويسوس أمورها المختلفة، ومن ثمَّ كان يكلف غيره من الصحابة بمسئوليات محددة، وبطريقة منظمة[١]، وهو ما كان يُعرف بـ « التكليف » .

أما عن الصحابة – رضوان الله عليهم – فقد كانوا يتطلعون لمواقف الجهاد والتضحية ويتمنونها، وخصوصًا حينما تكون مقرونة بالثناء من النبي ﷺ [٢]، وهو ما يُعرف بـ « التطوع » .

وفيما يتعلق بالحراسة في العهد النبوي فقد جمعت بين التطوع والتكليف:

فأما حراسة الصحابة للنبي ﷺ فقد كانت يغلب عليها التطوع، وذلك كما حدث عندما قام سعد بن معاذ والأنصار بحراسة النبي ﷺ أثناء وجوده في العريش، كما فرض الصحابة حراسة مشددة على النبي ﷺ عندما علموا بما أقدمت عليه قريش من غزو المدينة في أحد[٣]، وهو ما فعلوه – أيضًا – عند انصرافه من أحد[٤]، كما تطوع أبو أيوب الأنصاري، فبات يحرس

(١) د/ عبد العزيز بن إبراهيم العمري : أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية ، ط. الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص٤٠ .

(٢) د/ عبد العزيز بن إبراهيم العمري : أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية ، ص٤٨ .

(٣) د/ إبراهيم على محمد أحمد : الاستخبارات في دولة المدينة المنورة ، ص١٥٧.

(٤) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢ ، ص٤٥.

الخيمة التي كان فيها الرسول ﷺ وصفية ليلة عرسه بها[١]، وفي غزوة تبوك كان ﷺ إذا قام يصلي حرسه أصحابه[٢] .

وأحيانًا يكون التطوع موافقًا لرغبة النبي ﷺ ، وذلك مثلما حدث عندما قال النبي ﷺ في ليلة : « ليت رجلًا صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة » ، وفي ذلك الوقت جاء سعد بن أبي وقاص متطوعًا لحراسته دون أن يطلب منه رسول الله ذلك[٣] .

وقد أخذ العلماء من ذلك : ضرورة التزام السلطان للحذر والخوف على نفسه في الحضر والسفر، ألا ترى فعل الرسول مع ما عرَّفه الله أنه سيكمل به دينه، ويعلي به كلمته، التزم الحذر؛ خوف فتك الفاتك وأذى المؤذي بالعداوة في الدين، والحسد في الدنيا، وفيه أن على الناس أن يحرسوا سلطانهم، ويتخفوا به خشية الفتك وانخرام الأمر[٤] .

يقول ابن حجر: « وإنما عاني النبي ﷺ ذلك مع قوة توكله ؛ للاستنان به في ذلك، وقد ظاهر بين درعين مع أنهم كانوا إذا اشتد البأس كان أمام الكل، وأيضًا فالتوكل لا ينافي تعاطي الأسباب؛ لأن التوكل عمل القلب، وهي عمل البدن »[٥] .

---

(١) محمد فوزي فيض الله : صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، ص٣١٧.

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ٣ ، ص١٠٢١.

(٣) ينظر أحمد بن حنبل : فضائل الصحابة ، جـ١ ، ص٧٤٩ .

(٤) ابن بطال : شرح صحيح البخاري ، جـ٥ ، ص٨٢ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ، جـ٦ ، ص٩٦ .

أما حراسة المدينة فكانت تتم عن طريق تكليف النبي ﷺ صحابته بالقيام بهذه المهمة، ففي غزوة أحد أمر الرسول ﷺ بحراسة المدينة، وإعلان حالة الطوارئ فيها[١]، وعندما نقض بنو قريظة المعاهدة كلف رسول الله ﷺ سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل بحراسة المدينة [٢]، كما كلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة من قومه بحراسة المدينة عندما أغار عليها عيينة بن حصن، وخرج لملاقاته[٣].

أما عن حراسة المعسكر الإسلامي، فقد كان الغالب فيها أن يعرض النبي ﷺ هذه المهمة على المسلمين، فيخرج أحدهم، ويتطوع بالقيام بها، وذلك كما حدث عندما خرج النبي ﷺ إلى أحد، وقال : من ينتدب إلى هذه الثغرة، فخرج ذكوان بن عبد قيس[٤]، وفي غزوة ذات الرقاع عندما قال : من رجل يكلؤنا الليلة؟ فخرج عمار بن ياسر، وعباد بن بشر[٥]، وفي غزوة حنين قال : من يحرسنا الليلة ؟ فخرج أنس بن أبي مرثد الغنوي[٦] .

---

(١) موسى بن راشد العازمي : اللؤلؤ المكنون ، جـ٢ ، ص٥٧٢.

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢، ص٦٣ . د/ أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة جـ٢، ص٤٢٨ .

(٣) ابن الجوزي : الوفا ، جـ٢، ص٤١٥ . د/ حافظ الكرمي : الإدارة في عصر الرسول ، ص٢٠٩.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، جـ١ ، ص١٠٢٨.

(٥) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٣٩٠ . الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ، ص٥٥٨ ، ٥٥٩ .

(٦) ابن أبي عاصم : كتاب الجهاد ، جـ٢، ص٤٢٠ – ٤٢٣ . المنذري : الترغيب والترهيب ، ص٥٢٦ ، ٥٢٧ .

وفي بعض الأحيان كان يكلف الرسول ﷺ من يقوم بحراسة المعسكر الإسلامي، فقد روي أنه ﷺ استعمل على الحرس ليلة أحد محمد بن مسلمة في خمسين رجلاً[١]، وعند فتح مكة جعل على الحرس عمر بن الخطاب [٢]، كما استعمل على حرسه في غزوة تبوك عباد بن بشر[٣].

وقد حدث أن تطوع بعض المسلمين للقيام بمهمة حراسة المعسكر الإسلامي، وذلك كما حدث في غزوة تبوك عندما خرج سلكان بن سلامة متطوعًا في عشرة من المسلمين لحراسة الحرس[٤] .

وعلى أية حال، ففي كثير من الأحيان قُرنت هذه المهمة بالمدح والثناء والدعاء من الرسول ﷺ للقائمين بها، فقد روي أنه ﷺ قال عن ذكوان بن عبد قيس : « من أحب أن ينظر إلى رجل يطأ خضرة الجنة بقدميه غدًا فلينظر إلى هذا »[٥]، »[٥]، وقال عن سعد بن عبادة على إثر حراسته للمدينة : « نعم المرء سعد ابن عبادة »[٦]، ودعا لأبي أيوب الأنصاري عند حراسته له بقوله : « رحمك الله يا أبا أيوب » مرتين[٧]، وقال لأنس بن أبي مرثد الغنوي بعد نجاحه في القيام بمهمته :

(١) البلاذري : جمل من أنساب الأشراف ، جـ١ ، ص٣٨٥ . ابن الجوزي: المنتظم ، جـ٣ ، ص١٦٣ .

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢ ، ص١٢٦. ابن أبي شيبة : المغازي ، ص٣٢١.

(٣) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص١٢٣. محمد أحمد باشميل : موسوعة الغزوات الكبرى ، جـ١٠ ، ص٩٨ .

(٤) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص١٠٣٤. المقريزي: إمتاع الأسماع، جـ٢، ص٦٨ .

(٥) أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، جـ١، ص١٠٢٨ .

(٦) المقريزي : إمتاع الأسماع ، جـ١، ص٢٦٤ .

(٧) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢، ص١١٠ . ابن الجوزي : المنتظم ، جـ٣، ص٢٩٦.

« قد أوجبت، فلا عليك أن لا تعمل بعد هذا »[1]، كما دعا لسلكان بن سلامة ومن معه ممن قاموا بحراسة الحرس بقوله : « رحم الله حارس الحرس »[2]، وقال : « فلكم قيراط من الأجر على كل من حرستم من الناس جميعًا أو دابة »[3] .

.

وقد روى أبوريحانة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في إحدى الغزوات : من يحرسنا الليلة وأدعو له بدعاء فيه فضل ؟ وعندما خرج أحد الأنصار دعا له وأكثر، فلما سمع أبوريحانة ذلك قال : أنا رجل آخر، قال : ادنه ، ودعا له بدعاء هو دون ما دعا به للأنصاري[4] .

وبذلك يتبين أن النبي ﷺ لم يرد أن يسوي في دعائه بين من كان له السبق في إجابة دعوته، وبين غيره، وإن كان لم يحرم الآخر من هذا الدعاء؛ تشجيعًا له ومكافأةً منه على رغبته في القيام بمهام الحراسة .

---

(١) أبو داود : السنن ، (كتاب الجهاد ، باب في فضل الحرس في سبيل الله عز وجل) ، ص٤٣٩ ، ٤٤٠ ، رقم (٢٥٠١) . البيهقي : دلائل النبوة ، جـ٥، ص١٢٥، ١٢٦ . المنذري : الترغيب والترهيب ، ص٥٢٧ ، رقم (١٨٢٠) .

(٢) الحاكم النيسابوري : المستدرك ، جـ٢(كتاب الجهاد) ، ص١٠٥، رقم (٢٤٩٣) .

(٣) الواقدي: المغازي ، جـ٢ ، ص١٠٣٤ . ابن النحاس : مشارع الأشواق ، ص٤٢٧.

(٤) عبدالرزاق الصنعاني : المصنف (كتاب الجهاد)، جـ٥ ، ص١٥٠ . أحمد بن حنبل : المسند ، جـ٤ ، ص١٣٤ ، ١٣٥ . المنذري : الترهيب والترغيب (كتاب الجهاد ، باب الترغيب في الحراسة في سبيل الله) ، ص٥٢٦ ، رقم (١٨١٨ ، ١٢٣٤) . الهيثمي : مجمع الزوائد، جـ٥ (باب الحرس في سبيل الله)، ص٢٨٧ .

المبحث الثامن

صفات الحراس

جعل الرسول ﷺ اختيار الأكفأ شرطًا أساسيًا لتولي أي مسئولية في السلم والحرب على حد سواء[١]، وكذا يجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل[٢]. أما عن الحراسة فلا بد من توافر بعض الصفات التي لا غنى عنها؛ لإنجاز هذه المهمة، وهي :

(١) اللياقة البدنية وصحة الجسد :

لا يقصد باللياقة البدنية قوة العضلات فقط، بل صحة الجسد، وقدرته على تحمل المشاق والسهر والتعب[٣]، وعلى ذلك يشترط في الحارس أن يكون صحيح البدن؛ لأن المريض يتعذر حراسته وقتاله، وذلك لما في الحراسة والقتال من المشقة وبذل الوسع[٤] .

إن الحراسة والجهاد يحتاجان لقوة في البصر والجسد، لكي يقوم بأعباء هذه المهمة؛ وذلك لأنه استؤجر للحفظ والرعاية، والبصر هي الحاسة المدركة؛ لذلك بانعدامها لا تصح حراسة الأعمى، وأيضًا المقعد والأعرج لا تصح حراستهما؛ لأنهما لا يستطيعان درء أي خطر أو اعتداء، وكذلك جميع الأعذار المنوطة بالعجز المانع عن القتال والحراسة، وذلك لما يحتاجه أمر الحراسة من قدرة واستطاعة، فمن لم

---

(١) عبد الله الرشيد : القيادة العسكرية في عهد الرسول ، ص٣٧ .

(٢) أحمد راتب عرموش : سياسة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية ، ص٢١٩.

(٣) أحمد راتب عرموش : سياسة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية ، ص١٧٠.

(٤) نادية خميس عبد الله أبو سالم : الحراسة في الفقه الإسلامي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الشريعة والقانون ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥م ، ص٩٤.

تتوفر فيه القدرة والاستطاعة تسقط عنه الحراسة والقتال؛ لأن القتال تكليف، والتكليف شرط الاستطاعة[١] .

(٢) العقل والقدرة على القيام بالمهام :

يشترط فيمن أوكلت إليه مهمة الحراسة أن يكون عاقلاً، قد بلغ السن الذي يؤهله للقيام بمثل هذه المهام، يقول ابن منكلي : « فأما الاحتراز والاحتراس من الاستراق، فتولية أبواب المدينة الثقات، العقلاء، المتيقظين، المتحرزين، وأن يصير ذلك فيهم نوائبًا، لا يكون عليهم مؤونة غير الحفظ للأبواب »[٢].

وأما الصبي إذا كان مميزًا، مناسبًا لعمل الحراسة، ومدربًا على أساليب القتال والحراسة وحمل السلاح، ويمتلك قدرة عقلية وقدرة بدنية تشبه البالغين فتصح حراسته، وذلك لأن الضرورة تقتضي عملهم في بعض مهمات الحراسة كرصد الأشخاص أو الأعيان، وخصوصًا في الثغور المتاخمة للأعداء لحساسية هذه الحراسة، ولعدم لفت النظر للصبي المميز الذي يقوم بتلك المهام[٣].

(٣) الخبرة والقدرة على القتال وحمل السلاح :

ليست مهمة الحرس المراقبة فقط، بل التصدي والوقوف في وجه أي خطر يمكن أن ينال ممن كُلف بحراسته؛ الأمر الذي يستوجب منه الخبرة بأمور الحرب والقتال، وهو ما يتضح من مشاركة الحراس في العهد النبوي في العديد من الغزوات ومباشرتهم القتال بأنفسهم .

---

(١) نادية خميس عبدالله : الحراسة في الفقه الإسلامي ، ص٩٤، ٩٥.

(٢) الحيل في الحروب ، ص٣٨٠ .

(٣) نادية خميس عبدالله : الحراسة في الفقه الإسلامي ، ص٩٧.

وعلى سبيل المثال، فقد شهد عمر بن الخطاب المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ [١] . كما شهد سعد بن معاذ بدرًا وأحدًا، ورمي يوم الخندق سنة ٥ هـ ، ثم انفجر جرحه ، فمات في شوال من نفس العام [٢]، وكذلك سعد بن أبي وقاص شهد بدرًا وأحدًا، والمشاهد كلها[٣]، كما شهد عباد بن بشر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ [٤].

أما محمد بن مسلمة فقد شهد بدرًا وأحدًا، وثبت مع النبي ﷺ يومئذ، وشهد المشاهد كلها معه غير تبوك، فإن النبي استخلفه فيها على المدينة، كما شهد زيد بن حارثة بدرًا، وأحد، والخندق، والحديبية، وخيبر، وخرج أميرًا في سبع سرايا[٥]، وكذلك شهد المغيرة بن شعبة المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ [٦].

أما أسيد بن حضير، فقد اختلف في شهوده بدرًا. فقيل : لم يشهدها، وقيل : شهدها، وشهد أحدًا، وما بعدها من المشاهد[٧]، كما شهد سعد بن عبادة المشاهد كلها[٨].

(٤) الفروسية والمشاركة في بعض المهام الخاصة :

عُرف معظم هؤلاء الذين قاموا بمهمة الحراسة خلال العهد النبوي بالفروسية والشجاعة، بل نرى منهم من شارك في بعض المهام الخاصة التي كلفهم

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب، مج٣ ، ص١١٤٥ .
(٢) ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر، ص٩٢ ، ٩٣.
(٣) أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة، جـ١ ، ص١٣٠ .
(٤) ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ٣ ، ص١٤٩ .
(٥) ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر، ص٨٨ ، ٩٣ .
(٦) ابن كثير : السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص٦٦٥.
(٧) ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ١ ، ص٢٤٠ .
(٨) أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، جـ٣ ، ص١٢٤٤ .

بها رسول الله ﷺ ، فقد عرف سعد بن أبي وقاص بأنه أحد الفرسان الشجعان من قريش الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازيه، كما أنه كان أول رجل من العرب رمي بسهم في سبيل الله[١]، كما كان الزبير بن العوام أول من سل سيفًا في سبيل الله [٢]، وكان سلكان بن سلامة من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ [٣].

أما زيد بن حارثة فتقول عنه السيدة عائشة رضي الله عنها : « ما بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة في جيش قط إلا أمَّره عليهم، ولو بقي بعده استخلفه »[٤].

وتقول السيدة عائشة – أيضًا – عن ثلاثة من الصحابة الذين قاموا بمهمة الحراسة : « كان في بني عبد الأشهل ثلاثة لم يكن بعد النبي ﷺ من المسلمين أحد أفضل منهم : سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وعباد بن بشر»[٥].

(٥) الاستعداد التام واليقظة :

لا بد لمن يقوم بمهمة الحراسة أن يكون على أهبة الاستعداد، وفي يقظة تامة، إذ إن مهمته تقتضي ذلك، فغفلة الحارس وعدم استعداداته قد تتسبب في نجاح العدو في نيل مأربه، فهاهو سعد بن معاذ تذكر الروايات أنه كان في غزوة

---

(١) ابن عبد البر : الاستيعاب ، مج٢ ، ص٦٠٨ .

(٢) الصنعاني : المصنف ، جـ٥ (كتاب الجهاد، باب أول سيف في سبيل الله) ، ص٢٨٩ ، ٢٩٠ ، رقم (٩٦٤٦) .

(٣) ابن عبد البر : الاستيعاب ، مج٤ ، ص١٧٦٥.

(٤) أبو نعيم الأصبهاني : معرفة الصحابة ، جـ٣ ، ص١١٣٩ .

(٥) ابن عبد البر : الاستيعاب ، مج٢ ، ص٨٠٢ ، ٨٠٣ .

بدر قائمًا على باب العريش متوشحًا سيفه في نفر من الأنصار[١]، والمغيرة بن شعبة كان في الحديبية قائمًا على رأس رسول الله ﷺ في الحديد[٢]، أي معه السيف، وعليه المغفر[٣] . وأما أبو أيوب الأنصاري فقد بات يحرس رسول الله ﷺ عندما أعرس بصفية، متوشحًا سيفه، ويطيف بالقبة حتى أصبح[٤]، وأنس بن أبي مرثد الغنوي عندما أمره الرسول ﷺ بحراسة المعسكر في غزوة حنين، قام بمهمته خير قيام، ولم ينزل عن فرسه – كما قال – إلا ماشيًا أو قاضي حاجة حتى أصبح[٥] .

ومما يؤكد مدى اليقظة التي اتصف بها الحراس في عهد النبي ﷺ ما روي في غزوة بني قريظة، أنه خرج في تلك الليلة عمرو بن سُعْدى القرظي، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة، فلما رآه قال : من هذا؟ قال : أنا عمرو بن سعدى، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في عذرهم برسول الله[٦]، فقال فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني من إقالة

(١) ابن هشام:السيرة النبوية، جـ٢ ، ص١٩٧ . ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، جـ٣ ، ص١٨٤ .

(٢) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٤٥٩ . ابن سيد الناس: عيون الأثر، جـ٢ ، ص١٦٥ . السهيلي : الروض الأنف ، جـ٤ ، ص٢٧ .

(٣) الواقدي : المغازي ، جـ٢، ص٥٩٥. الذهبي : تاريخ الإسلام (المغازي) ، ص٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٤) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٤٨٠ ، ٤٨١ .

(٥) أبو داود : السنن، (كتاب الجهاد ، باب في فضل الحرس في سبيل الله عز وجل) ، ص٤٣٩ .

(٦) يذكر أن حيي بن أخطب عندما أتى بني قريظة، وحرضهم على قتال المسلمين، قال لهم عمرو بن سعد القرظي : « يا معشر يهود، إنكم قد حالفتم محمدًا على ما قد علمتم : أن لا تخونوه، ولا تنصروا عليه عدوًا، وأن تنصروه على من دهم يثرب، فأوفوا على ما عاهدتموه عليه، فإن لم تفعلوا فخلوا بينه وبين عدوه، فاعتزلوهم » . البيهقي : دلائل النبوة ، جـ٣ ، ص٤٠٠ ، ٤٠١ .

عثرات الكرام، ثم خلى سبيله[1].

كما يروى أنه عند مجيء النبي ﷺ لفتح مكة، جعل على الحرس عمر بن الخطاب، ثم كان أن ركب العباس بغلة رسول الله ﷺ ، وأردف أبا سفيان خلفه، فكلما مرت به على نار من نيران المسلمين التي أشعلوها، قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ ، والعباس عليها، قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مر بنار عمر بن الخطاب، فقال: من هذا ؟ وقام إليه، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة، قال : أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد به إلى رسول الله ﷺ [2].

هذه الرواية تبين أن معظم هؤلاء الذين مر عليهم العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان لم يتحسسوا الأمر، ولم يحركوا ساكنًا عند رؤيتهم لعم رسول الله ﷺ وبغلته . أما عمر بن الخطاب، والذي كان رئيسًا للحرس فلا شك أن الموضع الذي وضعه فيه رسول الله حتّم عليه أن يتقصى الأمر، وأن يباشر مهامه مهما كانت مكانة الشخص الذي يقف أمامه، ومهما بلغت قرابته من رسول الله ﷺ ؛ الأمر الذي يؤكد توفر جانب اليقظة التامة والحذر الكامل لديه .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ، ص٥٨٥ ، ٥٨٦. الكلاعي : الاكتفاء ، مـج١ ، جـ٢ ، ص١٣٥ . ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ٦ ، ص٨١ ، ٨٢ .

(٢) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، جـ٣ ، ص٤٠١ ، ٤٠٢ .

المبحث التاسع

النتائج المترتبة على وجود الحراسة في العهد النبوي

كان لوجود الحراسة العديد من النتائج التي ترتبت عليها، والتي منها :

(١) إثبات صدق نبوته ﷺ :

فقد كان لحراسة الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ سواء عن طريق إخباره بما عزم عليه أعداؤه، أو منع أعدائه من قتله أو التعرض له، كان لذلك أثره في إثبات صدق نبوته ﷺ لدى أعدائه، الأمر الذي دفع بعضهم إلى تغيير موقفه تجاه النبي ﷺ بل والإيمان به وبرسالته.

من ذلك أنه عندما رفع دعثور بن الحارث سيفه على رسول الله ﷺ قائلاً: من يمنعك مني يا محمد ؟ فإذا به يسقط السيف من يده، بعد أن دفع جبريل في صدره، وأخذه النبي ﷺ ، فلم يكن منه إلا أن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، واعدًا إياه بألا يكثر عليه جمعًا أبدًا[١] .

أما شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، فقد حدثته نفسه أن يسير مع رسول الله ﷺ إلى حنين ؛ لعله يصيب منه غرة، فيدرك ثأره، لكنه عندما مُنع من أن يصيبه بسوء، علم أنه ممنوع، وأيقن بالإسلام[٢] .

(٢) إثبات صدق محبة الصحابة للنبي ﷺ :

لا يستطيع أحد أن ينكر محبة الصحابة للنبي ﷺ ، وحرصهم عليه، ورغبتهم في التضحية بأنفسهم في سبيل الدفاع عنه، غير أن هذه المحبة وتلك

---

(١) الواقدي : المغازي ، جـ١ ، ص٣١٩٥.

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٤ ، ص٦٥ .

التضحية تظهر أكثر ما تكون في قيامهم بحراسته ﷺ ، وخاصة عند شعورهم بالخطر على حياته، أو تربص الأعداء للنيل منه.

فقد تمت حراسة النبي ﷺ في العديد من الغزوات وهي المواضع التي كان من المتوقع أن يسعى فيها الأعداء للنيل من قائد المعركة؛ حتى تنتهي المعركة لصالحهم، كما تمت حراسته ﷺ أيضًا في بعض المواقف الأخرى التي خاف الصحابة عليه فيها، وذلك مثلما حدث عندما قام الصحابة بحراسته عند مجيء عمير بن وهب الجمحي، وذلك بناء على أمر عمر بن الخطاب، وكذلك قيام الصحابي أبي أيوب الأنصاري بحراسة قبة النبي ﷺ عندما أعرس بصفية بنت حيي .

هذه المواقف وغيرها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك صدق محبة الصحابة للنبي ﷺ ، ورغبتهم في تحقيق أقصى درجات الأمن والأمان لصاحب الدعوة ﷺ .

(٣) إحباط محاولات التسلل إلى المعسكر الإسلامي :

نجح الحراس في منع وإحباط بعض محاولات الأعداء التسلل إلى المعسكر الإسلامي، ويظهر هذا جليًا في غزوة ذات الرقاع عندما انتدب عمار بن ياسر وعباد بن بشر لحراسة المسلمين، فجاء رجل كانت إمراته قد أصيبت على يد المسلمين، فوجد عباد بن بشر يصلي، فما كان منه إلا أن رماه بسهمه، ولما لم يجد عباد بدًا، أيقظ صاحبه، وعندئذٍ هرب الرجل إلى غير رجعة[١] .

ولا شك أن هذا الموقف تظهر أهميته إذا ما عرفنا أن وجود الحراسة في ذلك الوقت منع ذلك الرجل الذي أقدم للثأر لزوجته من التعرض لبقية المعسكر

(١) ابن إسحاق : السيرة النبوية ، جـ٢ ، ص٤٣٦ . ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ٣، ص١٢٢ . الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ، ص٥٥٨ ، ٥٥٩.

الإسلامي، إذ إنه عندما رأى صمود الحارس، اعتبر نفسه قد وفى بنذره، فهرب، ولم يستطع إلحاق المزيد من الخسائر.

وقد ظهرت تلك النتائج التي ترتبت على وجود الحرس أكثر ما تكون في غزوة الخندق، فقد قسم النبي ﷺ أصحابه إلى مجموعات للحراسة، كانت مهمتها مقاومة كل من يريد أن يخترق الخندق، وقام المسلمون بواجبهم في حراسة نبيهم ﷺ ، واستطاعوا أن يصدوا كل هجوم حاول المشركون شنه على المعسكر الإسلامي(١) .

من ذلك ما روته السيدة أم سلمة – رضي الله عنها – حيث قالت : « .... ثم خَرَجَ [تعني النبي ﷺ]، فَنَظَرَ سَاعَةً فَأَسْمَعُهُ يَقُولُ: هَذِهِ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ تُطِيفُ بِالْخَنْدَقِ، مَنْ لَهُمْ؟ ثُمّ نَادَى على عَبّادَ بْنَ بِشْرٍ، وأمره أن انطلق فِي أَصْحَابِك فَأَطِفْ بِالْخَنْدَقِ، فَهَذِهِ خَيْلٌ مِنْ خَيْلِهِمْ تُطِيفُ بِكُمْ يَطْمَعُونَ أَنْ يُصِيبُوا مِنْكُمْ غرة ، اللهُمّ ادْفَعْ عَنّا شَرّهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ وَاغْلِبْهُمْ، لَا يَغْلِبُهُمْ غَيْرُك، فَخَرَجَ عَبّادُ بْنُ بِشْرٍ فِي أَصْحَابِهِ، فَإِذَا بِأَبِي سُفْيَانَ فِي خَيْلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يُطِيفُونَ بِمَضِيقِ الْخَنْدَقِ، وَقَدْ نَذَرَ بِهِمْ الْمُسْلِمُونَ، فَرَمَوْهُمْ بِالْحِجَارَةِ وَالنّبْلِ، فوقفوا معهم حتى أضعفوهم بِالرّمْيِ فَانْكَشَفُوا رَاجِعِينَ إلَى مَنْزِلِهِمْ، وَرَجَعَ عباد إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوجِدُهُ يُصَلّي فَأَخْبَرْه، قَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ: فَنَامَ حَتّى سَمِعْت غَطِيطَهُ، فَمَا تَحَرّكَ حَتّى سَمِعْت بِلَالًا يُؤَذّنُ بِالصّبْحِ وَبَيَاضِ الْفَجْرِ، فَخَرَجَ فَصَلّى بِالْمُسْلِمِينَ »(٢).

(١) د/ علي الصلابي : السيرة النبوية ، ص٥٩٧.

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٤ .

وهناك رواية أخرى ذكرها محمد بن مسلمة، حيث قال : « أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي مِائَةِ فَارِسٍ. فَأَقْبَلُوا مِنْ الْعَقِيقِ[1] حَتّى وَقَفُوا بِالْمُذَادِ[2] وِجَاهَ قُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَنَذِرْت بِالْقَوْمِ فَقُلْت لِعَبّادِ بْنِ بِشْرٍ، وَكَانَ عَلَى حَرَسِ قُبَّةِ النَّبِيِّ ، وَكَانَ قَائِمًا يُصَلِّي، فَقُلْت: أَتَيْت! فَرَكَعَ ثُمّ سَجَدَ، وَأَقْبَلَ خَالِدٌ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ هُوَ رَابِعُهُمْ، فَأَسْمَعُهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ قُبَّةُ مُحَمّدٍ، ارْمُوا! فَرَمَوْا، فَنَاهَضْنَاهُمْ حَتّى وَقَفْنَا عَلَى شَفِيرِ الْخَنْدَقِ، وَهُمْ بِشَفِيرِ الْخَنْدَقِ مِنْ الْجَانِبِ الآخر، فَتَرَامَيْنَا، وَثَابَ إلَيْنَا أَصْحَابُنَا، وَثَابَ إلَيْهِمْ أَصْحَابُهُمْ، وَكَثُرَتْ الْجِرَاحَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، ثُمّ اتّبَعُوا الْخَنْدَقَ عَلَى حَافّتَيْهِ وَتَبِعْنَاهُمْ وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى مَحَارِسِهِمْ، فَكُلّمَا نَمُرّ بِمَحْرِسٍ نَهَضَ مَعَنَا طَائِفَةٌ وَثَبَتَ طَائِفَةٌ، حَتّى انْتَهَيْنَا إلَى رَاتِجٍ[3] فَوَقَفُوا وَقْفَةً طَوِيلَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ قُرَيْظَةَ يُرِيدُونَ أَنْ يُغِيرُوا عَلَى بَيْضَةِ الْمَدِينَةِ، فَمَا شَعَرْنَا إلّا بِخَيْلِ سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمَ ابْنِ حَرِيشٍ يَحْرُسُ، فَيَأْتُونَ مِنْ خَلْفِ رَاتِجٍ، فَلَاقَوْا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَاقْتَتَلُوا وَاخْتَلَطُوا، فَمَا كَانَ إلّا حَلْبُ شَاةٍ حَتّى نَظَرْت إلَى خَيْلِ خَالِدٍ مُوَلّيَةً، وَتَبِعَهُ سَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ حَتّى رَدّهُ مِنْ حَيْثُ جَاءَ »[4] .

وفي ذلك يقول جابر بن عبد الله ﷺ : « لَقَدْ رَأَيْتنِي أَحْرُسُ الْخَنْدَقَ، وَخَيْلُ الْمُشْرِكِينَ تُطِيفُ بِالْخَنْدَقِ وَتَطْلُبُ غرة وَمُضِيقًا مِنْ الْخَنْدَقِ فَتَقْتَحِمُ فِيهِ، وَكَانَ عَمْرُو

(١) العقيق : تقول العرب لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه عقيق ، والمراد هنا وادي العقيق بالمدينة ، وهو أشهر أودية المدينة . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص١٣٨ . محمد محمد حسن شراب : المعالم الأثيرة ، ص١٩٤ .

(٢) المذاد : موضع بالمدينة ، يقع حيث حفر النبي ﷺ الخندق ، وقيل : هو واد بين جبل سلع وخندق المدينة . محمد محمد حسن شراب : المعالم الأثيرة ، ص٢٤٥ .

(٣) راتج : أطم من آطام اليهود بالمدينة، تسمى الناحية به . ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ٣ ، ص١٢ .

(٤) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٦ .

بن العاص وخالد بن الْوَلِيدِ هُمَا اللّذَانِ يَفْعَلَانِ ذَلِكَ، يَطْلُبَانِ الْغَفْلَةَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فَلَقِينَا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي مِائَةِ فَارِسٍ، قَدْ جَالَ بِخَيْلِهِ يُرِيدُ مَضِيقًا مِنْ الْخَنْدَقِ يُرِيدُ أَنْ يَعْبُرَ فُرْسَانُهُ، فَنَضَحْنَاهُمْ بِالنّبْلِ حَتّى انْصَرَفَ »[1].

وبعد فشل خالد بن الوليد ومن معه في اختراق الخندق؛ بسبب يقظة الحراس المسلمين، أصبح خالد ، وقريش وغطفان تزري عليه[2]، وتقول : « ما صنعت شيئًا فيمن في الخندق، ولا فيمن أصحر [برز] لك، فقال خالد : أنا أقعد الليلة، وابعثوا خيلاً ؛ حتى أنظر أي شيء تصنع »[3].

ولا شك أن هذا الموقف يؤكد مدى ما وصل إليه المشركون في ذلك الوقت من يأس، حتى إن بعضهم أخذ يسخر من خالد – وكلهم يعلم من خالد – بعد فشله في اختراق الخندق، فإذا بخالد يطلب منهم أن يبعثوا خيلاً من قبلهم، حتى يرى أي شيء يفعلون، وكأنه يعلم نتيجة مثل هذه المحاولات مسبقًا .

كذلك أُحبطت محاولات المشركين في الحديبية، فقد حدث أن دنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فأمر رسول الله عباد بن بشر فتقدم في خيله، وأقام بإزائه، وصفّ أصحابه، ولما حانت صلاة الظهر، صلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف[4] ؛ الأمر الذي أدى إلى إحباط هذه المحاولة .

هذا، ولم تكف قريش عن التحرش بالمسلمين خلال المفاوضات لكتابة الصلح، بل وبعد إنجازه، وسواء أكان ذلك بعلم قادتها للضغط على المسلمين خلال

---

(١) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٥ .

(٢) زرى عليه : أي عابه وعاتبه . ابن منظور : لسان العرب ، ص١٨٣٠ ، مادة (زرى) .

(٣) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٦ .

(٤) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٥٨٢.

المفاوضات، أم هو من تصرفات شبابها الطائشين[١]، من ذلك ما ذُكر من أنه كان يتناوب حراسة المسلمين بالحديبية ثلاثة، هم : أوس بن خولي، وعباد بن بشر، ومحمد بن مسلمة، فبعثت قريش مكرز بن حفص في خمسين رجلاً؛ ليصيبوا من المسلمين غرة، فظفر بهم محمد بن مسلمة، وجاء بهم إلى رسول الله ﷺ ، فبلغه – بعد إقامة عثمان بن عفان بمكة ثلاثًا – أنه قُتل، وقُتل معه عشرة رجال مسلمون قد دخلوا مكة بإذن رسول الله ﷺ ؛ ليروا أهليهم، وبلغ قريشًا حبس أصحابهم، فجاء جمع منهم ورموا بالنبل والحجارة، فرماهم المسلمون، وأسروا منهم اثنى عشر فارسًا [٢].

هذه النماذج وغيرها تؤكد أهمية ذلك الدور الذي قام به الحراس المسلمون في إحباط محاولات التسلل إلى المعسكر الإسلامي؛ بل وأسر بعض من أقدموا على ذلك .

(٤) القضاء على حركات الخيانة والغدر لدى اليهود :

كان وجود الحراسة كفيلاً بإلقاء الرعب والفزع في نفوس اليهود، ومن ثَمَّ منعهم أو على الأقل التصدي للهجوم على المسلمين في المدينة أثناء حصار المشركين لهم في غزوة الخندق، خاصة في ظل تلك الإجراءات التي اتخذها رسول الله ﷺ عندما علم بخيانة بني قريظة ، حيث أرسل دوريتين، فأظهروا التكبير[٣].

بدأت هاتان الدوريتان في مباشرة مهامهما ، وعندما خرج نباش بن قيس ليلة من حصنهم، ومعه عشرة من اليهود من أشدائهم، وهم يقولون : عسى أن

(١) د/ أكرم ضياء العمري: السيرة النبوية الصحيحة ، جـ٢ ، ص٤٤٥ .

(٢) المقريزي : إمتاع الإسماع ، جـ١ ، ص٢٨٩ .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبير، جـ٢ ، ص٦٣ ، ٦٤.

نصيب منهم غرة، فانتهوا إلى بقيع الغرقد[١]، وجدوا نفرًا من المسلمين من أصحاب سلمة بن أسلم، فناهضوهم، ورموهم بالنبل، ثم انكشف القريظيون مولين، وبلغ سلمة بن أسلم وهم بناحية بني حارثة، فأقبل في أصحابه حتى انتهوا إلى حصونهم، فجعلوا يطيفون بحصونهم حتى خافت اليهود، وأوقدوا النيران على آطامهم، وقالوا : البيات[٢]، وبذلك نجحت الحراسة في منع اليهود من الإقدام على ما عزموا عليه، بعد أن نجحوا في التصدي لهم، وبث الرعب والفزع في نفوسهم .

(٥) الحصول على المعلومات المخابراتية اللازمة :

استطاع الرسول ﷺ أن يحصل على بعض المعلوماتية المخابراتية، وذلك بفضل يقظة الحراس، ونجاحهم في القيام بمهامهم التي أوكلت إليهم.

كان النبي ﷺ يُنَاوِبُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي حِرَاسَةِ اللَّيْلِ فِي فتح خيبر، فَلَمّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ السّادِسَةُ استَعْمَلَ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ عَلَى الْعَسْكَرِ، فَطَافَ عُمَرُ بِأَصْحَابِهِ حَوْلَ الْعَسْكَرِ وَفَرّقَهُم، فَأُتِيَ بِرَجُلٍ مِنْ الْيَهُودِ فِي جَوْفِ اللّيْلِ فَأَمَرَ بِهِ عُمَرُ أَنْ يُضْرَبَ عُنُقُهُ، فَقَالَ الْيَهُودِيّ: اذْهَبْ بِي إلَى نَبِيّكُمْ حَتّى أُكَلّمَهُ، فذهب به عمر حتى انْتَهَى إلَى بَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ولما أدخله عليه، قال ﷺ لِلْيَهُودِيّ: مَا وَرَاءَك ؟ وَمَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ الْيَهُودِيّ: تَؤُمّنّي يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَأَصْدُقُك ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : نَعَمْ، فَقَالَ الْيَهُودِيّ: خَرَجْت مِنْ حِصْنِ النّطَاةِ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ لَيْسَ لَهُمْ نِظَامٌ، تَرَكْتهمْ يُتَسَلّلُونَ مِنْ الْحِصْنِ فِي هَذِهِ الليلة، قال رسول الله : فَأَيْنَ يَذْهَبُونَ؟ قَالَ: إلَى أَذَلّ مِمّا كَانُوا فِيهِ، إلَى الشّقّ، وَقَدْ رُعِبُوا مِنْك حَتّى إنّ أَفْئِدَتَهُمْ لَتَخْفِقُ، وَهَذَا حِصْنُ الْيَهُودِ فِيهِ السّلَاحُ وَالطّعَامُ وَالْوَدَكُ، وَفِيهِ آلَةُ حُصُونِهِمْ التي كانوا يقاتلون بها بعضهم بعضًا،

(١) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة ، به دفن أجلة الصحابة وزوجات رسول الله وبناته . غيث بن عاتق البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ص٤٨ .

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٤٦٢ .

وقد غَيّبُوا ذَلِكَ فِي بَيْتٍ مِنْ حُصُونِهِمْ تَحْتَ الْأَرْضِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ : وَمَا هُوَ؟ قَالَ: مَنْجَنِيقٌ مُفَكّكَةٌ، وَدَبّابَتَانِ[1]، وَسِلَاحٌ مِنْ دُرُوعٍ وَبَيْضٍ وَسُيُوفٍ، فَإِذَا دَخَلْت الْحِصْنَ غَدًا وَأَنْتَ تَدْخُلُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إنْ شَاءَ اللهُ، فَقَالَ الْيَهُودِيّ: إنْ شَاءَ اللهُ أُوقِفُك عَلَيْهِ، فَإِنّهُ لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ مِنْ الْيَهُودِ غَيْرِي، وَأُخْرَى! قِيلَ: مَا هِيَ؟ قَالَ: تَسْتَخْرِجُهُ، ثُمّ أَنْصِبُ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى حِصْنِ الشّقّ، وَتُدْخِلُ الرّجَالَ تَحْتَ الدّبّابَتَيْنِ فَيَحْفِرُونَ الْحِصْنَ فَتَفْتَحُهُ مِنْ يَوْمِك، وَكَذَلِكَ تَفْعَلُ بِحِصْنِ الْكَتِيبَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنّي أَحْسَبُهُ قَدْ صَدَقَ، قَالَ الْيَهُودِيّ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، احْقِنْ دَمِي، قَالَ: أَنْتَ آمِنٌ قَالَ: وَلِي زَوْجَةٌ فِي حِصْنِ النّزَارِ فَهَبْهَا لِي، قَالَ: هِيَ لَك، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : مَا لِلْيَهُودِ حَوّلُوا ذَرَارِيّهُمْ مِنْ النّطَاةِ ؟ قَالَ: جَرّدُوهَا لِلْمُقَاتِلَةِ، وَحَوّلُوا الذّرَارِيّ إلَى الشّقّ وَالْكَتِيبَةِ [2].

وبذلك يتضح أن هذا اليهودي لم يكن أسيرًا في الأصل، وإنما خرج بمحض إرادته من حصن بني جلدته، ثم وقع في يد الحراسة الإسلامية المشددة بقيادة عمر بن الخطاب ﷺ ، وربما كان دافعه للخروج إحساسه بالإحباط من الحصار الإسلامي المشدد، فأراد أن ينجو بنفسه مقابل ما يمد به المسلمين من معلومات[3]، خاصة بعدما رأى من شدة عمر بن الخطاب ﷺ – قائد الحرس – ما جعله يخاف على نفسه وعلى زوجته .

---

(١) الدبابة : برج متحرك ، كان الجنود المهاجمون يحتمون بداخله ويتقدمون تجاه العدو وتحصيناته ثم يعملون على إزالة أسوارها والسيطرة عليها . مصطفى عبدالكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص١٧٦

(٢) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٦٤٧ ، ٦٤٨ .

(٣) د/ إمام الشافعي محمد حمودي : المخابرات في التاريخ الإسلامي الباكر، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م ، ص٨٦ .

وعلى أية حال، فعندما أصبح الرسول ﷺ غدا بالمسلمين إلى النطاة، ففتح الحصن، واستخرج ما ذكره اليهودي فأمر بالمنجنيق أن تصلح، وتنصب على الشق، فما رموا عليها بحجر حتى فتح الله عليهم حصن النزار [١].

(٦) إعلاء مكانة النبي ﷺ في نفوس أعدائه :

فقد ترتب على وجود الحراس، وقيامهم بتعظيم النبي ﷺ وتبجيله، ومنع أي من أعدائه من التطاول عليه، أن زادت مكانته في نفوس أعدائه، فها هو عروة بن مسعود – الذي جاء يفاوض الرسول ﷺ في الحديبية – يبدو أنه كان يراقب المسلمين، ويسجل حركاتهم؛ عساه يطلع على ما يفيده في سلوكهم، ثم يعود إلى المشركين؛ ليعلمهم بملخص ما سمع ورأى [٢].

وكان مما قاله لهم : « يا معشر قريش، والله لقد وفدت على الملوك : وفدت على قيصر في ملكه، وكسرى في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدًا، والله إن ينخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم، وما يحدون النظر إليه تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فأقبلوها» [٣]، وفي رواية أخرى : «... ولقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء أبدًا، فروا رأيكم »[٤] .

---

(١) الواقدي : المغازي ، جـ٢ ، ص٦٤٨ .

(٢) أحمد راتب عرموش : قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية ، ص٩٨ ، ٩٩.

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، جـ٢ ، ص٦٢٧.

(٤) الكلاعي : الاكتفاء ، مج١ ، جـ٢ ، ص١٧٦ . النويري : نهاية الأرب ، جـ١٧، ص١٦٠ ، ١٦١.

كانت هذه هي أهم النتائج التي ترتبت على وجود الحراسة في العهد النبوي، وهي نتائج لا يمكن إغفالها؛ الأمر الذي يؤكد أهمية الحراسة ودورها في ذلك الوقت .

الخاتمة

بعد الانتهاء – بعون الله وتوفيقه – من كتابة هذا البحث الذي تعرضت فيه لدراسة موضوع « الحراسة عند المسلمين في العهد النبوي »، أمكن التوصل إلى عدد من النتائج، من أهمها:

١- أوضحت الدراسة أن الحراسة بمفهومها الحديث وبما تحتويه من معنى وتنظيم وانضباط وجدت في العهد النبوي، وأن النبي ﷺ أمر بها في كثير من المواضع، ولم يترك الاستعدادات البشرية، رغم يقينه بنصر المولى – سبحانه وتعالى – له ولدينه .

٢- أظهرت الدراسة مدى محبة الصحابة – رضوان الله عليهم – لنبيهم، ورغبتهم في الدفاع عنه وحراسته، والتضحية بأنفسهم في سبيل ذلك .

٣- لم يعتمد الرسول ﷺ على حراسة الصحابة له، وإنما خرج وباشر القتال بنفسه، وحرَّض المسلمين وحثهم عليه، وقد ظهر ذلك جليًا في غزوة بدر .

٤- لم يغفل الرسول ﷺ حراسة المدينة والمعسكر الإسلامي؛ صيانة لأرواح المسلمين، وضمانًا لحمايتهم .

٥- لم يصل عقل بشري – ولن يتأتى له – أن يضع تخطيطًا محكمًا للحراسة مثلما شرعه الله تعالى للمسلمين في صلاة الخوف، وفي تلك الأوقات العصيبة التي يكونون فيها في مواجهة الأعداء .

٦- تنوعت تلك الأسباب التي من أجلها قام الصحابة بحراسة النبي ﷺ ، وكذلك الأسباب التي من أجلها أمر ﷺ بحراسة المدينة والمعسكر الإسلامي .

٧- تباين أعداد الحراس أثناء قيامهم بتلك المهمة، ولا شك أن عدد حراس النبي كان يكثر عندما كان يشعر المسلمون بالخطر على حياته؛ الأمر الذي يستلزم قيام عدد كبير منهم بهذه المهمة.

٨- جمعت مهمة الحراسة بين التكليف والتطوع، وكثيرًا ما قرنها النبي ﷺ بالمدح والثناء والدعاء للقائمين بها؛ الأمر الذي شكل حافزًا للصحابة للقيام بهذه المهمة .

٩- ظهرت العبقرية العسكرية للنبي ﷺ في اختياره للقائمين بالحراسة، والذين توفرت فيهم الصفات اللازمة للقيام بهذه المهمة .

١٠- ضرورة اختيار المكلفين بالحراسة للقادة والمعسكرات والبلدان من ذوي الخبرة والشجاعة والنباهة؛ حتى لا يؤخذ المسلمون على غرة من قبل أعدائهم .

١١- ترتب على وجود الحراسة العديد من النتائج، والتي تنوعت ما بين : إثبات صدق نبوته ﷺ عن طريق حراسة الله له، وإثبات صدق محبة الصحابة له ﷺ ، وإحباط محاولات التسلل إلى المعسكر الإسلامي، والتصدي لحركات الخيانة والغدر التي صدرت عن اليهود في المدينة، والحصول على المعلومات المخابراتية اللازمة، وإعلاء مكانة النبي ﷺ في نفوس أعدائه .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (جلَّ من أنزله) .

أولاً : المصادر :

* ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت : ٦٣٠هـ):

[١] أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

* أحمد بن حنبل (أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١هـ) :

[٢] فضائل الصحابة ، دار العلم للطباعة ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

[٣] المسند، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، جـ٣٩ ، ٢٠٠١م.

* ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني ت ١٥١هـ):

[٤] السيرة النبوية ، تحقيق : أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م.

* البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ) :

[٥] الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م.

* ابن برهان الدين الحلبي (علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ت ١٠٤٤هـ)

[٦] إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروف بـ" السيرة الحلبية" ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م .

* ابن بطال (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ت ٤٤٩هـ) :

[٧] شرح صحيح البخاري، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتب الرشد ، الرياض ، بدون تاريخ .

* البغوي (محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ):

[٨] تفسير البغوي « معالم التنزيل » ، تحقيق : محمد عبد الله النمر، وآخرين ، دار طيبة للنشر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

* البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ) :

[٩] جمل من أنساب الأشراف، تحقيق : د/ سهيل زكار، د/ رياض زركل ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

* ابن بلبان الفارسي (علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ت ٧٣٩هـ):

[١٠] صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ /١٩٩٣ م .

* البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ):

[١١] دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.

* الترمذي (الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩هـ):

[١٢] السنن، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر، الرياض ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م.

* ابن جماعة (عز الدين بدر الدين بن جماعة الكناني ت ٧٦٧هـ) :

[١٣] المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ ، تحقيق: د/ سامي مكي العاني ، دار البشير، عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

* ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ت ٥٩٧هـ) :

[١٤] تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.

[١٥] زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

[١٦] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.

[١٧] الوفا بأحوال المصطفى ، تحقيق: محمد زهري النجار، المؤسسة السعيدية ، الرياض ، بدون تاريخ .

* الحاكم النيسابوري (الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري ت ٤٠٥هـ) :

[١٨] المستدرك على الصحيحين، دار الحرمين للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م.

* ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي ت ٣٥٤هـ) :

[١٩] كتاب الثقات ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م.

* ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ):

[٢٠] فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري تحقيق: عبد القادر شيبة الحمد ، ط. الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

* ابن حزم الأندلسي(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ) :

[٢١] جوامع السيرة النبوية ، تحقيق : عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢م.

* الخزاعي (علي بن محمد بن أحمد بن موسى ت ٧٨٩هـ) :

[٢٢] تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

* خليفة بن خياط (أبو عمر خليفة بن خياط الذهلي العصفري ت ٢٤١هـ)

[٢٣] تاريخ خليفة ، تحقيق : د/ أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

* أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ) :

[٢٤] السنن، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

* الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٢٨هـ) :

[٢٥] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : د/ عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.

[٢٦] سير أعلام النبلاء ، تحقيق : حسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

[٢٧] المغني في الضعفاء ، تحقيق : نور الدين عتر ، ط . إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر، بدون تاريخ .

* الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ) :

[٢٨] مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الرابعة ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

* ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري ت ٢٣٠هـ) :

[٢٩] الطبقات الكبير، تحقيق: د/ علي محمد عمر، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

* السهيلي (أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله الخثعمي ت ٥٨١ هـ) :

[٣٠] الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : طه عبدالرؤوف سعد ، مطبعة عباس عبدالسلام شقرون ، القاهرة ، بدون تاريخ .

* ابن سيد الناس (أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري ت ٧٣٤هـ):

[٣١] عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق : د/محمد العيد الخطراوي، محيي الدين متو، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، بدون تاريخ.

* السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ) :

[٣٢] أسباب النزول المسمى « لباب النقول في أسباب النزول» ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

* ابن شبَّه (أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري ت ٢٦٢هـ) :

[٣٣] تاريخ المدينة المنورة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، ط. القاهرة ، بدون تاريخ .

* ابن شهاب الزهري(محمد بن مسلم بن عبيد الله ت ١٢٤هـ):

[٣٤] المغازي النبوية ، تحقيق : د/ سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

* ابن أبي شيبة (أبو بكر عبد الله بن محمد ت ٢٣٥هـ) :

[٣٥] كتاب المغازي ، تحقيق : د/ عبد العزيز بن إبراهيم العمري، دار إشبيليا، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م.

* الصالحي (محمد بن يوسف الصالحي الشامي ت ٩٤٢ هـ) :

[٣٦] سبل الهدي والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت وجودة عبدالرحمن هلال ، ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م .

* الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد ت ٣٦٠هـ) :

[٣٧] المعجم الكبير، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

* الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣٩٠هـ) :

[٣٨] تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩م.

* الطحاوي (أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ت ٣٢١هـ):

[٣٩] شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة

الأولى ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م.
* ابن أبي عاصم (أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ت ٢٨٧هـ) :
[٤٠] كتاب الجهاد ، تحقيق : مساعد بن سليمان الراشد ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
* ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت ٤٦٣هـ) :
[٤١] الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.
[٤٢] الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق : د/ شوقي ضيف ، ط. القاهرة ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
* عبد الرزاق الصنعاني (أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ت ٢١١هـ):
[٤٣] المصنف ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، ط. المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
* الفخر الرازي (محمد فخر الدين الرازي بن ضياء الدين عمر ت ٦٠٤هـ)
[٤٤] التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
* أبو القاسم التيمي (إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي التيمي ت ٥٣٥هـ):
[٤٥] كتاب المبعث والمغازي ، تحقيق : محمد بن خليفة الرباح ، دار الوليد ، طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الأولى ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠م.
* القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت ٦٧١هـ)
[٤٦] الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السُنة وآي الفرقان، تحقيق : د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
* القسطلاني (أحمد بن محمد القسطلاني ت ٩٢٣هـ) :
[٤٧] المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، المكتب

الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤م.

* ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ت ٧٥١هـ)

[٤٨] زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

[٤٩] فقه السيرة النبوية " من زاد المعاد في هدي خير العباد " ، تحقيق : د/ السيد الجميلي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

* ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤هـ) :

[٥٠] البداية والنهاية ، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م .

[٥١] السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة ، بيروت، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م.

* الكلاعي (أبوالربيع سليمان بن موسى الأندلسي ت ٦٣٤ هـ) :

[٥٢] الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق : د/ محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م .

* الماوردي(أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت ٤٥٠هـ)

[٥٣] الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

* مسلم (أبوالحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري ت٢٦١ هـ):

[٥٤] المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، تحقيق : أبوقتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ،

١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م .

* المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ) :

[٥٥] إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأقوال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

* المنذري (أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي ت ٦٥٦هـ):

[٥٦] الترغيب والترهيب ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م.

* ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ت ٧١١هـ) :

[٥٧] لسان العرب، تحقيق : عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .

* ابن منكلي (محمد بن منكلي الناصري ت بعد ٧٧٨هـ) :

[٥٨] الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب ، تحقيق : د/ نبيل محمد عبد العزيز أحمد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م.

* موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) :

[٥٩] المغازي، تحقيق: محمد باقشيش أبو مالك ، ط. المغرب ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

* ابن النحاس (أبو زكريا أحمد بن إبراهيم بن محمد ت ٨١٤هـ) :

[٦٠] مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام، تحقيق: إدريس محمد علي ، محمد خالد إسطنبولي ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠.

* أبو نعيم الأصبهاني (أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ت ٤٣٠هـ) :

[٦١] معرفة الصحابة ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م .

* النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ) :

[٦٢] نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: د/ علي بوملحم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.

* الواحدي (أبوالحسن علي بن أحمد ت ٤٦٨ هـ) :

[٦٣] أسباب نزول القرآن ، تحقيق: كمال بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م .

* ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢١٣هـ) :

[٦٤] السيرة النبوية ، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت، بدون تاريخ .

* الهيثمي (أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر ت ٨٠٧هـ) :

[٦٥] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ.

* الواقدي (أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي ت ٢٠٧هـ):

[٦٦] كتاب المغازي، تحقيق : د/ مارسدن جولسن ، دار الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

* ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي ت ٦٢٦ هـ):

[٦٧] معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

ثانياً : المراجع :

* إبراهيم علي محمد أحمد (دكتور) :

[١] الاستخبارات في دولة المدينة المنورة، ط. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م .

* أحمد إبراهيم الشريف (دكتور) :

[٢] مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٨٥م.

* أحمد راتب عرموش :

[٣] قيادة الرسول ﷺ السياسية والعسكرية ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م.

* أحمد محمد العليمي باوزير :

[٤] مرويات غزوة بدر، مكتبة طيبة، السعودية، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م .

* أكرم ضياء العمري (دكتور) :

[٥] السيرة النبوية الصحيحة ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

* إمام الشافعي محمد حمودي (دكتور) :

[٦] المخابرات في التاريخ الإسلامي الباكر، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

* جمال حماد :

[٧] غزوة بدر من الناحيتين العسكرية والسياسية ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الجمهورية العربية المتحدة ، بدون تاريخ.

* حافظ أحمد عجاج الكرمي (دكتور) :

[٨] الإدارة في عصر الرسول ﷺ دراسة تاريخية للنظم الإدارية في الدولة الإسلامية الأولى ، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م.

* عاتق بن غيث البلادي :

[٩] معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

* عبد العزيز بن إبراهيم العمري (دكتور) :

[١٠] أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية ، ط. الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

* عبد الله محمد الرشيد (دكتور) :

[١١] القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ، دار القلم، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

* علي محمد الصلابي (دكتور) :

[١٢] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، دار المعرفة ، بيروت، الطبعة السابعة ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م.

* محمد أحمد باشميل :

[١٣] موسوعة الغزوات الكبرى ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الثامنة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م.

* محمد أبو زهرة :

[١٤] زهرة التفاسير، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ.

* محمد عبدالحي الكتاني :

[١٥] نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، تحقيق : د/ عبدالله الخالدي ، دار الأرقم ، بيروت ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .

* محمد فوزي فيض الله :

[١٦] صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م.

* محمد محمد حسن شراب :

[١٧] المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١م .

* مصطفى عبدالكريم الخطيب :

[١٨] معجم المصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦م .

* موسى بن راشد العازمي :

[١٩] اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون ، دار الصميعي للنشر، الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

ثالثاً : الرسائل العلمية :

* نادية خميس عبد الله أبو سالم :

[١] الحراسة في الفقه الإسلامي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الشريعة والقانون ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ٢٠١٥م .